Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في رحاب الايمان

آية الله السيد محمد تقي المدرسي

Bibliotheca Alexandrina
0090970

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في رحاب الإيمان

آية الله السيد محمد تقي المدرسي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكتاب : في رحاب الايمان
المؤلف : آية الله السيد محمد تقي المدرسي
الناشر : انتشارات مدرسي
الطبعة الاولى : ١٤١٧ هـ
عدد النسخ : ٣٠٠٠
السعر : ٥٠٠٠ ريال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

الايمان وما يرادفه من كلمات في سائر اللغات أحلـى نعـت يوصـف بـه البعـض فيكنّ لهم الناس احتراما ويثنون عليهم بأسمى ثناء .

من منا لايحب ان ينعت بهذه الصـفة ، ومن منـا مـن لايدعيهـا صـادقا ام غـير صادق ؟

ولكنـا حين نقيّم الاخرين تقييما موضوعيا فاننا لن نجـود بهـذه الصفـة الا علـى البعض وهـم لاريب الاقلـــون .

اما سائر النـاس فـان أخـفّ نعـت يحصلـون عليـه منـا هـو ان اكـثر اهتمامـاتهم شخصية ، واثقل نعت انهم ذاتيون أنانيون ..

فياترى هل تبحث عن برنامج يجعلك في مصاف المؤمنين حقا .. ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انها قمة سامقة لايبلغها الانسان بالتمني والادعاء ، ولكن بالجد والاجتهاد . فهل تتطلع الى بلوغها ، وهل انت مستعد لبذل الثمن الغالي في سبيل تحقيق هذا التطلع ؟

اذن تعال نستعرض في صفحات هذا الكتاب كلمات مضيئة عن الايمان ، وهي في الأصل أحاديث روحية القاها سماحة آية الله المدرسي في مناسبات شتى . والحديث حين يكون عن الايمان فمن الافضل ان يأتي عفويا لاتكلف فيه ولا تعسف .

تعال نعيش لحظات سعيدة في رحاب الايمان حيث السكينة في القلب ، والبصيرة في الحياة ، والفلاح في العيش ، والعاقبة الحسنى ..

واذا ألقينا سمعنا شاهدين ومستريحين الى احاديث الايمان ، داعين الله ان يتم نورنا ؛ فان الرجاء ان نحصل على افضل نعمة في نهاية المطاف ، هي نعمة زيادة الايمان .

وفي الختام ؛ الكتاب مجرد ذكرى ، وانما قلبك المنفتح هو الشرط الأهم للاستفادة منه ، والله المستعان وعليه التكلان .

مكتب آية الله المدرسي

١ / ربيع الاول / ١٤١٧ هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

من هدى الإيمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

الايمان ينبوع القيم الالهية

الايمان هو ينبوع سائر القيم الالهية ، وجذر شجرة سائر القيم والاحكام والشرائع ، والسؤال المهم المطروح في هذا المجال هو : كيف يستطيع الانسان ان ينمّي ويزيد من ايمانه بالله - عز وجل - وكيف تتوهج حقيقة الايمان في القلب حتى تتجسد في صورة قيم مثلى ، وأخلاق سامية تقود حياة الانسان الى حيث يريد الله ، والى حيث يتطلع الانسان بفطرته من الهدى والفلاح ؟

قبل ان اجيب على هذا السؤال لابد ان امهد للاجابة بتمهيد هو ان الايمان لم يذكر في القرآن الكريم إلا مقرونا بعلاماته وآياته وبالتالي بالافعال التي تنبع منه . فليس ايمانا ذلك الايمان الذي لايفيض بالقيم ، فهو اقرار في القلب ، وشهادة باللسان ، وحركة بالاعضاء والجوارح . فاذا كان هنا اقرار في القلب ، فلابد ان يظهر هذا الاقرار ، ولامناص من ان تظهر حقيقته على جوارح الانسان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الايمان مقترن بالفضائل :

ولذلك فان القرآن الكريم لايحدثنا عن الايمان الا ويقرنه بمجموعة من الفضائل ، تقف الصلاة على رأسها كقوله – تعالى – : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ (المؤمنون / ١-٢) . ثم يأتي بعد ذلك الانفاق في سبيل الله ؛ فكلما زاد الانسان اهتماما بالصلاة ، زاد انفاقا في سبيل الله – عز وجل – في جميع الابعاد ، وارتفع ايمانا وازداد يقينا . ومن هنا فان الذي يدعي انه مؤمن ثم لايخشع في صلاته ، ولاينفق مما رزقه الله فان ادعاءه هذا كاذب ، وهو مجرد تمن ، والجنة لايمكن ان تنال بالأماني ابدا.

وعندما يحدثنا القرآن الكريم عن الجنة والنار ، وعن يوم القيامة فانه يحدثنا عن ميزان عدل يأخذ بنظر الاعتبار مثقال الذرة : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾ (الزلزال / ٧-٨) ، فالحديث هنا هو حديث عن العدل ، والقسط ، وعمل يقاس بالمثقال ، فليست القضية عبثا ، ولا هي امان ، والايمان ليس ادعاء ، فلكل حق حقيقة والايمان لابد ان تكون له حقيقة تدل عليه ، ولابد ان يتجلى في العمل .

واعود هنا الى السؤال الذي طرحته من قبل وهو : كيف ينمي الانسان جوهرة الايمان في نفسه ؟ ، لقد عبّرت الاحاديث عن الايمان بأنه (الروح) لان الروح هي التي تزود الانسان بالحركة والنشاط ، ولكي ينمو الايمان يجب ان تنمو سائر الفضائل ؛ اي ان الانسان يجب ان لايختار بين الفضائل ، فالذي يريد ان يجسد في نفسه الايمان عليه ان يكون بحيث يسلم نفسه لكل شيء يقدمه في سبيل الله – تعالى – .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من تجليات الايمان :

١- الطاعة : وعلى سبيل المثال فان (الطاعة) هي ابرز معاني وتجليات الايمان ؛ اي الطاعة لله وللرسول وأولي الامر . والطاعة تمتلك ابعادا ؛ فقد يطيع الانسان فيما يشتهيه ، ويخالف الاوامر فيما لايرغب فيه ولا يريده ، كما كان حال بني اسرائيل . فقد كانوا اذا جاءهم رسول بما تهواه انفسهم اطاعوه ، واذا جاءهم الرسول بما لاترغب فيه انفسهم استكبروا وعصوا ، وهذه الطاعة ليست هي المطلوبة .

وقد يطيع الانسان امر مولاه بما يخالف هواه (اي هوى هذا الانسان) ولكن في بعض الامور كالانفاق في سبيل الله - مثلا - ، اما اذا أمره بالجهاد بنفسه ودمه فتراه غير مستعد ، وهذه طاعة غير مقبولة هي الاخرى .

ان الطاعة المفروضة تتمثل في ان يكون الانسان مستعدا لتنفيذ الاوامر في اي وقت حتى وان عاش الى آخر حياته دون ان يؤمر من قبل قيادته بالجهاد لان انتظار الفرج يعتبر من اهم الاعمال في الشريعة المقدسة بالنسبة الى الامة المرحومة ، فالذي ينتظر الفرج ، وينتظر ان ترتفع الراية بيد صاحبها الحقيقي فانه يكون قد حدّث نفسه بالجهاد والشهادة ؛ اي ان هذا الانسان مستعد في اية لحظة لأن يحمل سلاحه ، ويدخل ساحة الجهاد ، ويستشهد بين يدي امام زمانه ، وهذا هو معنى الانتظار الذي هو اكثر الاعمال ثوابا عند الله - عز وجل - ، لان الانسان المستعد يكون في اعلى درجات الرحمة الالهية .

٢- ذكر الله : ومن تجليات الايمان الاخرى ذكر الله ؛ اي ان يكون الانسان حاسا وشاعرا بهيمنة الله عليه ، واحاطته به ، وانه ليس بعيدا عن مقام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ربه ، ولذلك فان ذكر الله - تعالى - ليس ان يلهج لسان الانسان بالكلمات ، وانما هو التوجه والالتفات بعد النسيان . اما ان يكون قلب الانسان لاهيا وغافلا عندما يتحرك لسانه بالذكر فانه سوف يعبر عن لاشيء . ولذلك جاء في الاحاديث ضرورة ذكر الله عند المعصية ، فاذا كنت على سبيل المثال جالسا في مجلس من مجالس البطالين صدفة ، وسمعت رجلا يذكر آخر بسوء فان عليك في هذه الحالة ان تذكر الله - سبحانه - ، لان الكلام السوء الذي سمعته هو معصية ، وعليك ان تذكر الله عند المعصية ، فلابد اما ان تدافع عن ذلك الرجل، واما ان تقوم من مجلسك ، وتعترض على هذه الجلسة التي يعصى الله - عز وجل - فيها .

وبالاضافة الى ذلك فان علينا ان نذكر الله عند الطاعة ايضا ، فعندما يأتيك رجل ويدعوك الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، او المساهمة في عمل خيري ، فقد ذكر الله - تعالى - لك ، فاذا خفق قلبك ، ووجلت نفسك ، وجرى الدم في عروقك فانت مؤمن حقا كما يقول - عز من قائل - : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ (الانفال / ٢) ، اما اذا شعرت بالخمول ، والتقاعس ، والتكاسل فهذا يعني انك لاتعتبر رضوان الله وحبه غنيمة ، بل تعتبرهما خسارة . فالغنيمة عندك ان تذكر عند الناس ، لا ان تذكر عند الله . وهكذا ان الايمان الحقيقي لم يتجسد في نفسك بعد .

وقد يتجسد ذكر الله - سبحانه وتعالى - عند المصيبة ، فالمصائب تهون عند ذكر الله ، وعلى سبيل المثال فان الامام الحسين (عليه السلام) وفي اصعب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لحظات مصيبته ؛ اي عندما اصيب بابنه الرضيع ، كان يأخذ الدم من نحر ابنه المذبوح ويرميه الى السماء قائلا : " هون علي ما نزل بي انه بعين الله " ، فمادام الانسان يذكر الله – جلت قدرته – فان مصائبه ستهون كلها ، لان الله شاهد وناظر ، وعالم بما يجري ، وهو الذي سيأخذ بثأره من الظالمين .

وهناك ذكر الله عند التفكير والذي يعتبر من اعظم الذكر ؛ فعندما يفكر الانسان ، ويقدر عليه ان يذكر الله ، ولايفكر باهوائه ، ولايدع وساوس شيطانه تستحوذ عليه ، بل عليه ان يفكر في الطريق المستقيم لا ان يكون تقديره قائما على اساس الهوى . ولذلك فان القرآن الكريم عندما يحدثنا عن الصالحين يقول : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُولُواْ الأَلْبَابِ** ﴾ (الزمر / ١٧-١٨) .

ولذلك فان هذا الذكر ينمي في الانسان روح الايمان ، والله – عز وجل – يأمرنا في آيات عديدة بذكره ، فهو يقول عن المؤمنين الذين يبتعدون عن الظنون ، والوساوس الشيطانية :﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (الشعراء / ٢٢٧) ، فهؤلاء مستثنون من حكم الله على الشعراء ، فالله – تعالى – عندما يحدثنا عنهم يقول : ﴿ **وَالشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ** ﴾ (الشعراء / ٢٢٤-٢٢٦) ، الا انه يستدرك قائلا :﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ...** ﴾ ، فصفات المؤمنين من الشعراء انهم آمنوا وعملوا الصالحات ؛ اي ان ايمانهم لم يكن بالتمني ، بل كان ايمانا حقيقيا .

ثم يقول – تعالى – : ﴿ **وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرا** ﴾ ؛ اي انهم لم ينجرفوا في تيار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاوهام ، والتخيلات بل قالوا الحق . وفي موضع آخر يصف - تعالى - المؤمنين قائلا : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾ (آل عمران / ١٩١) ، وقد اوّلت هذه الاية بالصلاة ، اما تفسيرها فهو ان الانسان المؤمن يذكر الله دائما في جميع الاحوال ؛ فهو في الحركة يعمل ، وفي الجلوس ينمي علاقاته مع الآخرين ، وفي النوم يفكر ، فهو يذكر الله - عز وجل - في كل هذه الحالات .

ان الصلاة ذكر ، هذا لايعني ان على الانسان ان لا ينشغل بعد الفراغ من صلاته عن ذكر الله كما يشير الى ذلك - تعالى - في قوله الكريم : ﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ﴾ (النور / ٣٧) ، فالصلاة انما شرعت لذكر الله : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي ﴾ (طه / ١٤) ، وبعد الصلاة على الانسان ان يذكر الله ايضا : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ ﴾ . (النساء / ١٠٣)

وعند مواجهة الاعداء يجب على الانسان المؤمن ان يذكر ربه ، فبذكر الله تطمئن القلوب ، وبذكره يتحقق مفهوم التوكل . يقول - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الانفال / ٤٥) .

ومن المعلوم ان الانسان خطّاء ، والذي يدعي انه منزه عن الخطأ ، فان ادعاءه هذا هو بحد ذاته اكبر خطأ لانه يجعله في حالة من التكبر والتجبر والطغيان . واذا ما اخطأ الانسان فان عليه ان يذكر الله لكي يمنحه اولا القوة والقدرة على مقاومة الشيطان الذي يدعوه الى ان يذنب المرة بعد الاخرى ، ولكي - ثانيا - لايصاب باليأس والقنوط ، لان اليأس بحد ذاته جريمة ، وخطيئة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كبرى ، ولذلك يقول - سبحانه - عن المؤمنين :﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران / ١٣٥) .

وحتى عندما نرتكب الذنوب الصغيرة فان علينا ان نستغفر الله - تعالى - لان الانسان اذا احدث ذنبا ثم لم يستغفر خالقه فان هذا الذنب سيتحول الى نقطة سوداء في قلبه ، واذا بالذنوب تتراكم عليه ، واذا بقلبه يموت ويصبح قاسيا . وفي آية اخرى يقول - عز وجل - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواَ ﴾ (الاعراف / ٢٠١) ؛ اي ذكروا الله ، وذكروا انفسهم :﴿ فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ ﴾ . (الاعراف / ٢٠١)

أساس الايمان :

ومن هنا فان ذكر الله - تعالى شأنه - هو احد اعمدة العودة الى الايمان ، والصلاة هي من ابعاد ذكر الله ، والصلاة بحقيقتها هي عمود الدين - كما جاء في الحديث - اي انها اساس الايمان ، وركن علاقة الانسان بالله ورمزها ، وهي معراجه الى الله ، ولغة التخاطب بين العبد وربه . فهي - في الواقع - محور لسائر القيم لانك ان كنت خاشعا في اللحظة التي تصلي فيها فانك تعود الى فطرتك وطهرك ونقائك .

وعندما يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) : " ... يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جار على باب أحدكم ، فما ظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات في اليوم أكان يبقى في جسده

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

درن ؟ فكذلك وا لله الصلوات الخمس لأمتي " [١] .

فـــان المقصود ان الصلاة الحقيقية هي التي يرجع فيها الانسان الى نقاء فطرته . وطهـرهـــا ، والقـــرآن الكريـم عندما يحدثنـا عن الصـــلاة يضيـف اليها كلمة (الاقامة) كقـولـه - تعالـى - : ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ ﴾ أو ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ ﴾ والاقامة تعني ان يؤدي الانسان الصلاة بكـل ابعادهـا ، وآدابهـــا ، وشـروطها ، ومحتويـاتهـا ، وهذه الصـــلاة هـي الـتي تـؤدي الى زيـادة الايمـان عنـد الانسـان . ولذلك فـان النبـي (صلى ا لله عليه وآله) يعتبـــر هـــذه الصـــلاة اهـم تحفـــة يجب على الانسان ان يعتـز بهـا ، كما يشعـــر بذلـك قـــوله (صلـى ا لله عليـه وآله) : " وقـرة عيـني الصـــلاة "، فالصـــلاة كانت احب شيء عنده (صلى ا لله عليه وآلـــه) .

ونحـن اذا وصلنـا الى مرحلـة بحيـث احببنـا الصـلاة ، وارتـاحت انفسنـا اليهـا ، وشعرنـــا بأنها خفيفـة علينا وليســت ثقيلـة ، واذا راينـا ان قلوبنـا تندفـع الى ان تتهيأ للصلاة بمجرد ان يتناهى الى اسماعنا نداء (حي على الصلاة) ، فلنعرف ان ا لله - جل وعلا - قد من علينا ، ولـم يجعل بيننـا وبينـه حجابـا ، وانـه يحبنـا ، لانـه عندما يحب احدا فانه يجذبـــه اليه ، ويدعـــوه ، ويستضيفـــه ، امـا اذا لم يضمـر ا لله - تعالى - لك الحب فانـــه ســـوف لايـردك . إلا إذا ألححـت عليـه في ان يرفع الحجـاب بينـك وبينـه لان " مـــن اكثـــر طـــرق البـاب أوشـك ان يسـمع الجـــواب " .

وإذا لم نكن في مثل تلك الحالة من حب الصلاة والارتياح لها ، فـان علينـا ان

---

[١] بحار الانوار ج ٧٩ ص ٢٢٠ رواية ٤١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لانيأس ، وان نحاول معرفة السلبيات الروحية والسلوكية التي نعاني منها ، والتي لاتجعل صلاتنا تصبح صلاة حقيقية . وعلى هذا فان الصلاة معراج المؤمن ، وخير موضوع ، وعمود الدين ، وخصوصا عندما يؤدي الانسان الصلاة بشروطها الاجتماعية .

الصلاة أول هدف :

وعندما يبين لنا القرآن الكريم مواصفات المجتمع الايماني ، فانه يذكر ان اقامة الصلاة يجب ان تكون اول هدف لهم : ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وءَاتَوُا الزَّكَاةَ** ﴾ (١ الحج / ٤١) ، وفي موضع آخر يقول عنهم - عز وجل - : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ** ﴾ (الانبياء / ٧٣) ، فالهدف الاول للائمة الذين يهدون بأمر الله يتمثل في اقامة الصلاة .

وفي ايام الجمعة ، والاعياد يتواصل المؤمنون ، ويتلاقون ، وتكون الصلاة هي محور التفاهم بينهم كما يقول - تعالى - : ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (الجمعة / ٩) ، وعلى هذا فان لقاء المؤمنين يكون حول مائدة الصلاة ، فهي التي تجمعهم .

ان هذه الصلاة تجعل الانسان في حالة عروج دائم ، فاذا اردنا ان نتحدث مع الله - جل وعلا - فان علينا ان نقيم الصلاة ، ونقرأ القرآن ، وهناك البعض من المؤمنين يجمعون بين الامرين وخصوصا في صلاة النوافل ، وهذه فكرة لطيفه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخصوصا في ليالي شهر رمضان المبارك ، فاذا كانت لديك فكرة ان تصلي الف ركعة طيلة شهر رمضان فبأمكانك ان تقسمها بين الليل والنهار ، واثناء كل صلاة بأمكانك ان تمسك القرآن بيدك لتقرأ آيات منه .

وقد فسرت الآية :﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرءَانِ** ﴾ (المزمل / ٢٠) ، تقرأ القرآن اثناء الصلاة ، وفي هذه الحالة وفي نفس الوقت الذي تؤدي فيه الصلاة سيكون باستطاعتك ان تختم القرآن في صلاتك ؛ اي ان تتبادل الحديث مع الله - سبحانه وتعالى - .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

الايمان مفتاح فهم الحقائق الكبرى

القرآن الكريم بما يضم من سور وآيات بينات يقدم الجواب الصريح والواضح على حقيقة يتجاهلها الانسان ، ويحتجب عنها وعن معرفتها والتفاعل معها رغم وضوحها ، الا وهي حقيقة الايمان وتجلياته ، والتي يقف على النقيض منها الكفر وابعاده .

أصل كل خير :

ان الايمان هو اصل كل خير ، وقاعدة كل قيمة سامية ، وينبوع كل فضيلة مثلى ، ولعل الغاية الاسمى للايمان هي ان يخرج الانسان من اطار الذات ، وحدود الأنا الضيقة ، الى التفكير والاحساس بالآخرين ، وبتعبير آخر ؛ فان الايمان يتجسد ويخرج الى الواقع عندما يشعر الانسان بأخيه الانسان ، فعندما يخرج من الاطار الضيق للنفس الى عالم الاحساس بالآخرين ، وحينما يعيش الحقائق الآخرى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخارجة عن الذات ، ويستوعبها ، ويهتدي اليها فحينئذ يصح ان يقال عنه انه مؤمن .

الله ينبوع الحقائق :

والحق - تعالى - هو ينبوع الحقائق الاخرى ، ومصدرها ، وهو حقيقة الحقائق ، فكل حق وحقيقة ، بل وكل واقع ووجود انما هو من عنده - سبحانه - وبخلقه وتدبيره وهيمنته ، ولذلك كان رأس الايمان الايمان بالله ووحدانيته ومطلقيته ، ومن هذه البؤرة الايمانية تشع سائر أشعة الأيمان الاخرى ، وتمتد ابعادها .

ولعل ابرز هذه الابعاد الايمانية الايمان باسمائه الحسنى ، فمعرفته - تعالى - تتمثل في ان نعرفه بأسمائه بعد ان استحالت معرفة كنهه ، ذلك لان عقل الانسان ومهما تسامى وارتفع بالعلم والمعرفة لايمكن ان يسمو الى معرفة ذات الرب التي هي غيب الغيوب ، فهو - عز وجل - لاتبلغه الادراكات مهما سمت وان كانت ادراكات الانبياء ، والصديقين ، والملائكة ، فليس هناك من موجود منح العقل ، والادراك ، والبصيرة بمستطيع ان يبلغ معرفة الذات الالهية ، وكل محاولة في هذا المجال تهبط بصاحبها الى حضيض الزندقة ؛ " من تفكر في ذات الله تزندق " .

ان قصارى ما يستطيعه العقل ان يعرف الخالق - عز وجل - باسمائه الحسنى ، وصفاته وآلائه العليا ، وبما صنعت يده من وجود وخلائق ، فهو - تعالى - تمكن معرفته - مثلا - بالرحمة ، والعزة ، والقوة ، والحكمة ، والعظمة ، وبكونه سميعا بصيرا ، خبيرا قادرا على كل شيء وهكذا الحال بالنسبة الى جميع اسمائه وصفاته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مبدأ السنن الالهية :

ومن هنا لم تكن دعوة الله الا من خلال اسمائه الحسنى ، فبعد معرفة هذه الاسماء تتسنى لنا معرفة السنن التي اقام بها الله الكون والوجود ، وهذه السنن هي حقائق تتعلق بتلك الاسماء الحسنى ، والآلاء العليا ، فعندما نعلم ان الله - جل شأنه - رحيم فلابد ان ندرك ان من سننه (الرحمة) ، فلا يدع ظالما في هذه الحياة يستمر في ظلمه للناس مادام الله ارحم الراحمين ، ولانه - تعالى - كذلك فليس من المعقول ان يتغاضى عن دعوة مظلوم ، او اجابة الداعي اذا دعاه .

وهكذا فان الاسماء التي يدعى بها الله - سبحانه - هي مبدأ السنن الالهية ، ومن بين هذه السنن سنة استجابة الدعاء ، فكما ان الله كتب على نفسه الرحمة ، فقد اخذ على نفسه ايضا عهدا بأن يستجيب دعوة الداعي اذا دعاه كما يقول - عز وجل - :﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِيْ وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة / ١٨٦) .

ومن سنة الرحمة ننتقل الى الحديث عن سنة اخرى هي سنة الحكمة النابعة من كون الله - تعالت قدرته - حكيما ، فلو ان احدا طلب من الله ان يحول ما على الارض من جبال الى نيران ، فاستقبل القبلة ، وجثا امامها ، وراح يدعو ويدعو بصوت شجي لايام وليال لما استجاب - تعالى - لدعائه رغم انه ارحم الراحمين ، ويجيب دعوة الداعين ، لانه - في نفس الوقت - حكيم عليم ، فمشيئة الله القائمة على حكمته وعلمه هي فوق مشيئة العباد، فليس من العدل ان تتحول جبال هذه الارض الى نيران بناء على رغبة عبد من العباد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بيان الايمان وتجلياته :

ويبـــدو ان سورة (يونس) اختصت في بيان الايمان وتجلياتـه ، مقابل الكفـــر ومفرداته .. ففي بداية هذه السورة الكريمة يقول – تعالى – : ﴿ **الر تِلْـكَ ءَايَـاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** ﴾ (يونس / ١) ، فالحكمة هي رأس الايمـان ، ورأس الايمـان هـو مخافة ا لله – سبحانه – ، فمن خلال معرفة ان ا لله حكيم ، نعرف سـنة مـن سـننه وهي الحكمة ، وانطلاقا من هذه السنة ندرك ان ليس كل دعـاء قـابلا للاسـتجابة من قبل ا لله – تعالى – فهو لا يسـتجيب لكـل دعـاء وان كـان قـادرا علـى ذلـك بسبب مقتضى حكمته . وحتى في موضـوع هـلاك طاغيـة مـا فاننـا قـد لانلمـس استجابة الدعاء ، فقد يؤخر – عز وجل – هلاكه الى اجـل مسمـــى لايعلمـه الا هو ، فلا يهلكه لمجرد ان نسجد له – تعالى – داخرين ، وندعـو مـن اجـل هلاكـه متضرعين ، لحكمة اقتضاها الخالق ، وقد حجبـت عنـا ، فلـو انـه – عـز وجـل – استجاب كل دعـوة دون الحكمـة ولمجـرد ان يدعـو العبـد لمـا اسـتقر هـذا الكـون والوجود ، ولما جرت بقية السنن الالهية في مجراها الذي وضعه ا لله لها .

وا لله – سبحانه – كثيرا ما تغيب حكمته عن كثير من عباده في امور الحيـاة في حين انه اعلم بمصلحة الانسان سواء كان فردا ام جماعة ، ولذلك كان لزاما علينـا ان نبحث عن الحكمة الالهية في الامور التي ندعو ا لله فيها فلا يستجيب لنا ، فهـو – سبحانه – وضع كثيرا من الامور والحقائق في موازينها ، وضمن معادلات هـي جوهر الكثير من السنن الالهية . وفي كتابـه المجيـد نجـد الاشـارة الى هـذه الموازيـن والمعادلات منها قوله : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ** ﴾ (الزلزال / ٧-٨) وقوله : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَـا سَعَى* وَأَنَّ**

سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ (النجم / ٣٩-٤٠) وقوله :﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ . (الاسراء / ٧)

تقاسم الحقوق مع الاخرين :

وعلى هذا فلاننا نؤمن با لله فاننا نؤمن ايضا باسمائه الحسنى ، ولاننا نؤمن بهذه الاسماء فاننا نؤمن بالسنن التي تفيض من هذه الاسماء وتنبعث عنها ، ومن ثم فان هذا الايمان با لله يؤدي الى الايمان بالخلق والوعي والاحساس بهم ، ذلك لان الخلق لم يتوقف علينا نحن بالذات ، فكما اننا مخلوقون لله فان الاخرين ايضا مخلوقون من قبله ، ولذلك ينبغي بناء العلاقة الاجتماعية على هذا الاساس داخل المجتمع والامة ، فكما يحب احدنا ان ينال حقوقه من الاخرين ، فان هؤلاء الاخرين ينتظرون ان نؤدي لهم ما علينا من حقوق ، فعندما نعترف بالاخرين ، ونعي حقوقهم فان هذا يعني اننا قد آمنا بهم ، فلابد ان نتقاسم معهم الحقوق ، والجهود والاتعاب في هذه الحياة .

وهذه الخصيصة - خصيصة الايمان بالاخرين - هي التي اعطت الحضارة الاسلامية وجهها المشرق في صدر الاسلام ، حيث سادت ثلث ارجاء المعمورة . فالثروة لم تتكدس ، والحقوق كانت توزع بشكل عادل ، فطبيعة النظام الاسلامي تأبى ان تتكدس الثروة ، ويكتنز الذهب والفضة ، كما ان المجاميع التي كانت تدخل في رحاب الاسلام ، كانت تتحول مباشرة الى جزء لايتجزأ من الحضارة الاسلامية . فاذا ما اعتنقت قرية من القرى النائية في اطراف الدولة الاسلامية الدين الاسلامي . بادر ابناؤها الى كفالة بعضهم البعض ، فيتقاسمون العيش سوية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتعاونون في اطار من الاخوة والمحبة ، وفي ظل القرآن ، والرسالة المحمدية التي آمنوا بها ، وبذلك ينعدم الفقر بينهم تدريجيا ، وتذوب الثروات المكدسة لدى القلة من المجتمع .

ان الايمان با لله – تعالى – يجعل الانسان المؤمن يتعدى حدود معرفته لحق الغير في الحياة الى معرفة حق سائر الاحياء من حيوانات ونباتات في نيل نصيبها ورزقها من الحياة، ولعلنا سمعنا الحديث الشريف الذي يقول : " رأيت في النار صاحب الهرة تنهشها مقبلة ومدبرة ، كانت أوثقتها و لم تكن تطعمها ولا ترسلها تأكل من خشاشة الأرض " [1] ، وفي رواية اخرى تظهر بوضوح السلوك العملي الرحيم للاسلام ان رسول ا لله (صلى ا لله عليه وآله) استيقظ يوما من نومه فوجد قطة قد نامت على طرف ردائه ، فأبى ان يفسد عليها لذة نومها ، فقطع ذلك الجزء من ردائه ، ونهض من مكانه تاركا القطة تستغرق في نومها دون ان يزعجها .

المؤمن يحترم كل شيء :

ان حقوق الانسان بل وحقوق كل كائن حي يدب على هذه الارض هي ذات جذور واصالة في الرؤية الاسلامية ، فأيمان الانسان بالآخرين ، نابع من ايمانه بأنهم خلق ا لله – تعالى – . وكذلك الحال بالنسبة الى كل ما يدب على هذه البسيطة فان له حقا في الحياة مادام مخلوقا لله ، ولذلك فان المؤمن يعيش وهو يحترم كل شيء ؛ فلا يعبث ، ولايفسد ، ولايبذر ، ويحترم ويقدر كل نعمة انعم ا لله بها عليه .

---

[1] بحار الانوار ج ٦١ ص ٢٦٨ رواية ٣٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فـالايمان بـالله الـذي يتعـدى الى الايمـان الشـمولي بكـل مـاهو خـارج الـذات الانسانية ، هذا الايمان يصوغ شخصية الانسان المؤمن ، وسلوكيته ، وتعاملـه مـع الحيـاة والمجتمع . وفي القرآن الكريم اشارات الى مثل هذا السلوك من ذلـك قوله - عز وجل - في الايات التالية :

﴿ وَلاَ تَمْشِ فِـي الأَرْضِ مَرَحـاً إِنَّـكَ لَـن تَخْـرِقَ الأَرْضَ وَلَـن تَبْلُـغَ الْجِبَـالَ طُـولاً ﴾ (الاسراء / ٣٧)

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (الروم / ٣٨)

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُـوا بِالْقِسْـطَاسِ الْمُسْـتَقِيمِ ذَلِـكَ خَـيْرٌ وَأَحْسَـنُ تَأْوِيلاً ﴾ (الاسراء / ٣٥)

هذا في حين نجد الانسان الكافر يعيش في حيز الأنا وحب الذات ، وهو مستعد لتدمير كل شـيء مـن اجـل ان يضمـن مصلحتـه الخاصـة . ونحـن اليـوم نلمـس ، ونسمع عن التدهور البيئي بسبب الحضارة الأنانية الكافرة ، فحتى الطبيعة لم تسلم من يد هؤلاء العابثين بالاضافة الى البشر والاحياء ، فهم ينهشون لحوم المسـلمين ، والمستضعفين في مختلف بقاع الارض كذئاب مفترسة .

لقد بات انسان اليوم يتأوه ألما ، ويتحسر على تلك العصور السابقة التي سـادت فيها حضارة الايمان التي نشرت السعادة والامن والسلام في ارجاء المعمورة ، وراح يلعـن هذه الحضارة رغم ما فيها من التطور والتقدم التكنولوجي الذي لم ينتفع بـه بقدر ما ذاق من وباله ، وويلاته.

صحيح انهـا حضـارة قـامت علـى التطـور التكنولوجـي الـذي اختصـر الزمان والمكان ، ولكنها حضـارة ساقطة في حقيقتها لانها تفتقر الـى الايمان بالله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- تعالى - ، فهي حضارة الانانية ، والتغطرس ، وعبادة المادة والشهوات .

وهكذا فان الايمان با لله يعني الايمان بأسمائه وسننه وبما خلق وبرأ في هذا الكون والطبيعة ، وعندما ننمي في انفسنا هذا الايمان الشمولي فانه سيخرجنا من زنزانة الذات ، واطار الانانية الضيق الى الرحاب الواسعة للحقيقة .

ومن الابواب التي يخرج الانسان من خلالها من اطار ذاته الى عالم الايمان والاحساس بالاخرين ، باب الانفاق ، والعفو ، وكظم الغيظ ، وباب الشجاعة ، والبذل ، والتضحية ، والتوكل ... وغيرها من الابواب التي تصوغ حياة الانسان الاجتماعية في اطار ايماني من المحبة والسلام والوئام والاخوة .

صفات الانسان الكافر :

والانسان الذي يأبى على نفسه التحرر من ضيق الذات ، وسجن الانانية ، لضعف ايمانه با لله - تعالى - لابد ان يتحول شيئا فشيئا الى شخص جبان ، لئيم ، عدواني الطباع ، مغرور متكبر ، يملأه العجب بنفسه ، وهذه هي صفات الانسان الكافر با لله - سبحانه - ، ومثل هذه الصفات اشارت اليها سورة (يونس) كعناوين ، ودلالات على الكافرين ، فيقول - عز من قائل - في هذه السورة :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ (يونس / ٥-٦) .

ثم ينتقل السياق الكريم ليعرض سلوك الكافرين : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يونس / ٧-٨) ؛ فالانسان الكافر الذي يعيش اسير الذات ، والدنيا ، وشهواتها ويعبدها ، ويطمئن اليها انما هو غافل عن آيات الله ، وغفلته هذه تؤدي الى ان يتسافل ، ويسقط في حضيض الموبقات والجرائم ، والفساد والافساد في الارض .

خصائص المؤمنين :

بعد ذلك يعرض لنا السياق القرآني الصورة الايمانية قائلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (يونس / ٩-١٠) ، فالايمان هو بمثابة المصباح يهدي الى كل خير وفضيلة ، والمؤمن بالله - عز وجل - يمثل كيان سلم ، وامن ، ومحبة ، ووحدة ، وايثار ، لايظلم ولايخون ولايؤثر نفسه على الاخرين ، ولا يستبد برأيه ، ولايعتدي على حقوق الآخرين ، ولايفسد في الارض ، وهو مسالم حتى مع الطبيعة التي حوله ، ولايقدم على عمل دون ان يأخذ بنظر الاعتبار هدفا نبيلا ساميا يرتجي منه نفعه ونفع العباد ، ويجد ويعمل ويبني ويساهم في تشييد صرح الحضارة الالهية الايمانية ، وهذه هي صفات الانسان المؤمن بأسماء الله وسننه ، فكل همّه اشاعة الصلاح في المجتمع ، ونشر المحبة والطمأنينة والسلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل المخلوقات تسبح لله :

ان الارض والسماء بأجرامها وكواكبها تتحدث مع رب العالمين كما تصرح بذلك الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ (فصلت / ١١) ، وقد ورد في الروايات كيف ان كل بقعة يعبد الله عليها ستشهد للانسان المؤمن ، بل ان الاكثر من ذلك ان الارض التي يدفن فيها تارك الصلاة تصرخ ، وتئن من وجوده ، وفي احدى الآيات القرآنية يخاطب الرب الجليل جبال الارض ، ويطلب منها ان تؤوب مع داود : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ (سبأ / ١٠) ، فعندما كان هذا النبي يسبح لله كانت الجبال تسبح معه والطير ، والحق ان كل مخلوق يسبح لله ولكننا لا نفقه هذا التسبيح : ﴿ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الاسراء / ٤٤) .

نظرة المؤمن الى الطبيعة :

وبناء على كل ما مضى فان نظرة الانسان المؤمن الى الطبيعة هي نظرة سلام وحب وصلاح وخير وتعاون مع اخوته من بني جنسه ، ومع الطبيعة وموجوداتها ، في حين يقف الانسان الكافر على النقيض في نظرته للحياة والوجود حوله ، فهي نظرة انانية ، عدوانية، تستعر فيها نيران الشر والافساد . ومن خلال هاتين النظرتين المتناقضتين يتضح التنافي الحاد بين الحضارتين ؛ الاسلامية الايمانية ، والجاهلية الكافرة .

ومن المناسب هنا ان نذكر قولا لامام المتقين ، وامير المؤمنين (عليه السلام)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا حبذا لو كتب بأحرف من ذهب على مداخل المحاكم وعملت به ، وهو قوله (عليه السلام) :

" لو اعطيت الاقاليم السبعة وافلاكها على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلت ذلك " .

والامام (عليه السلام) عندما نطق بهذه الدرر فأنما كانت تنبعث من ضمير مؤمن حي مسلم لله رب العالمين ، وعارف حق المعرفة بحقوق الاخرين عليه ، وواجباته ازاءهم ، وعلينا نحن ايضا ان نتشبه قدر الامكان بهذا النموذج الاسمى في العدل والقسط .

وبكلمة واحدة فان الايمان من شأنه ان يخرج الانسان من ذاته الضيقة الى عالم الايمان بالحقائق الاخرى ، والتسليم لها ، واحترامها ، وبالتالي فانه رأس كل فضيلة وينبوع كل خير ، ومصدر كل قيمة مثلى ، ومبدأ سام في الحياة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

الايمان جوهر الرسالة وحقيقة الدين

لاشك ان اثقل ما في ميزان العبد يوم القيامة هو الايمان ، فهو قيمة القيم ، واصل الفرائض ، والهدف الاسمى للانسان الكامل في الحياة .

ترى ما هو الايمان ، وهل يمكن للانسان ان يتعرف عليه ؟ الجواب بالايجاب ، ولكن لكل حقيقة منهاجا معينا ، فليس كل شيء يعرف بطريقة واحدة وانما السبيل الى معرفة كل شيء يتحدد عبر طبيعته ، والايمان - بما انه روح وعزم وارادة - فان معرفته لا يمكن ان تكون بالسبل المعروفة التي نتعرف بها على الحقائق المشهودة عينا .

والطريق الى معرفة الايمان انما هو بمعرفة اسمائه وصفاته وعلاماته ، وبتعبير اخر فان السبيل الى معرفة الايمان لا يكون الا عبر معرفة حقائقه وتجلياته والواقع الذي يصنعه هذا الايمان ، ولذلك فاننا عندما نتدبر في آيات الذكر الحكيم التي تنطلق عادة من الايمان ، وتنتهي اليه ، ونتساءل عن حقيقة الايمان ، فان القرآن يجيبنا عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك من خلال بيان علامات الانسان المؤمن وصفاته فيقول - عز من قائل - : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ (المؤمنون / ١-٤) .

وهكذا فان الحديث عن الايمان هو حديث عن تجلياته ، وعن تلك الصفات المثلى التي تتجلى في حياة الانسان المؤمن ، ويتسم المؤمنون بها ، ومن هنا فان من الممكن ايضا التعرف على حقيقة الايمان بالاسلوب المعين لمعرفة الحقائق المجردة مثل حقيقة العلم ، والروح ، والارادة ، والعقل وسائر الانوار الالهية التي منحها الله - عز وجل - للانسان .

كما واننا لن نستطيع سبيلا الى معرفة رب هذه الانوار ، وخالقها الله ذي العرش - سبحانه وتعالى - الا عبر معرفة آياته واسمائه ، فلا يمكن معرفة الله بمعرفة ذاته لاننا سنبقى عاجزين طويلا وطويلا عن معرفة اسم من اسماء الله ، ثم لا نستطيع التعرف على ابعاده ، فكيف بمعرفة رب العباد بذاته والذي لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار .

تجليات الايمان في الحياة :

وهكذا فان للايمان تجليات كثيرة وهي ليست بعيدة عن حياة وسلوك المؤمنين لان الايمان هو حركة للانسان ، وقبل ان نتعرف على تجليات الايمان لابد ان نختصر الحديث حول جوهره وروحه ، والملاحظ ان التعبير الدقيق عن الايمان في الاحاديث الشريفة هو (الروح) ، كما ان التعبير الدقيق ايضا عن كل نصر وتأييد الهي للبشر في مجال العصمة ، وفي مجال توفيق العبد هو (روح القدس) ؛

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اي التأييد بروح القدس .

ان كلمة الروح تعني ذلك الافق الذي هو اعلى واسمى من افق المادة ، والقرآن الكريم يطلق كلمة (الروح) على حقيقة الايمان ، وعزم الارادة ، وبهذا العزم ؛ اي بالقرار الذي يتخذه الانسان في داخله لكي يكون مؤمنا ، والذي يكون في اقل من ثانية واحدة ، تتجسد حقيقة الايمان من جانب البشر ، او حركة الانسان وسعيه نحو الايمان .

اما ذلك العزم فانه لا يتم ولا يكتمل ولا يثمر إلا بتوفيق الله - عز وجل - ، فبعد ان يتحرك الانسان ويسعى نحو الايمان بعزم الارادة ؛ اي بلحظة من الارادة واتخاذ القرار ، يأتيه حينئذ التوفيق الالهي كما قال - تعالى - : ﴿ وَمَا تَشَآؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ ﴾ (الانسان / ٣٠) ؛ فالانسان لا يكون مؤمنا الا بتوفيق الله ، لان الايمان روح منه - تعالى - تعطى للانسان ، واذا ما وصل الانسان الى مستوى الروح (روح الايمان) فان تحولا عظيما سيحدث في نفسه ، هذا التحول الذي يعتبر حسب ما يبدو لي اعظم تحول في الخليقة .

وعلى سبيل المثال فلننظر الى الشمس ، سنرى ان جوهرها لم يتغير منذ ان خلقها الله والى الان ، ربما تغير مظهرها ، وربما تغيرت كتلتها وحرارتها ، ولكن جوهرها لم يتغير ابدا وسوف لن يتغير ... وهكذا الحال بالنسبة الى سائر المخلوقات فان جوهرها هو هو لا يتغير ، ولكن شيئا وحيدا هو الذي يتغير جوهره من دون سائر المخلوقات الا وهو روح الانسان التي هي الحقيقة الوحيدة التي من الممكن ان يتغير جوهرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الايمان اساس القيم :

ان جوهر الانسان يتمثل في انه بشر مخلوق ضعيف محدود يتغير ويتحول حتى يكون - كما قال عنه الله - سبحانه وتعالى - في حديث قدسي - : ﴿ **عبدي اطعني تكن مِثلي او مَثَلي اقول للشيء كن فيكون ، وتقول للشيء كن فيكون** ﴾ ، وهذا الجوهر انما يتغير بالايمان ، ولذلك فاننا عندما نقرا آيات القرآن الكريم نجد انه قبل ان يبين اية قيمة من القيم يبدأ بالحديث عن الايمان ، وعلى سبيل المثال فاننا اذا تدبرنا في سورة هود التي تحدثنا عن رسالة الانبياء (عليهم السلام) الى الامم ، نجد انها تنقسم وتتشعب ضمن مجاميع من الايات ، وكل مجموعة هي خلاصة عن رسالة نبي من الانبياء ابتداء من رسالة الله - جل وعلا - الى نبينا الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله) خاتم النبيين وسيد المرسلين حيث تفتتح هذه السورة الكريمة بها في الاية الثانية ، ومن ثم سائر الانبياء (عليهم السلام) .

وعندما نقرأ هذه المجاميع من الايات نجد في بداية كل منها تذكرة بالله - سبحانه وتعالى - ، ثم بيانا لسائر القيم التي امر الله البشر بالالتزام بها ، ومثل هذه التذكرة نجدها في كل سورة تتحدث عن رسالات الانبياء من مثل سورة الشعراء ، هذه السورة التي جاءت هي الاخرى ضمن مجاميع من الايات كل مجموعة تحدثنا عن رسالة نبي من الانبياء كالنبي نوح ، وصالح ، وشعيب (عليه السلام) وسائر الانبياء ، وكل مجموعة تحدثنا عن رسالة الله - تعالى - الى نبي من الانبياء ، وهذه الرسالة تتغير حسب ظروف تلك الامة التي بعث النبي اليها ، وحاجتها الى مجموعة معينة من القيم والانظمة .

وفي فاتحة هذه المجموعة من الايات يكون الحديث حول الله - جل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلا - ورسالته ، ففي سورة هود - مثلا - نجد هذه الاية :
﴿ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ (هود / ٢) وهذه الاية هي ثانية آيات هذه السورة ، فهي تبتدء هكذا : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلاَّ تَعْبُدُوا ﴾ (هود / ١ -٢) وهكذا فان هذه الاية تمثل محتوى هذا الكتاب ، ومحتوى رسالة الله التي ارسلت الى النبي (صلى الله عليه وآله) عبر القرآن الكريم .

ثم تتوالى بعد ذلك الايات الكريمة فيقول - تعالى - : ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (هود / ٣-٤) .

وفي الاية السادسة والعشرين تطالعنا حقيقة مشابهة ، ففي هذه الاية نقرأ حول نوح (عليه السلام) : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (هود / ٢٥-٢٦) وهنا نلاحظ تكرار نفس الحقيقة رغم ان التعبير عنها اختلف بعض الشيء ، فهناك " نَذِيرٌ مُبِين " وهنا " إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ " ، فالحقيقة واحدة ، والنذير ايضا ينذر بعذاب اليم .

وهذا ايضا هو محتوى رسالة شيخ المرسلين نوح (عليه السلام) حيث تتسلسل بعد هذه الاية ايضا مجموعة من القيم في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا .. ﴾ (هود / ٢٧) الى اخر الايات التي تحدثنا عن بقية مبادىء وبصائر الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سبحانه وتعالى – الى النبي نوح (عليه السلام) .

وفي الاية الخمسين من سورة هود نجد هذه الاية الكريمة : ﴿ **وإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ** ﴾ وهنا نلاحظ ان نفس الفكرة قد تكررت ، وفي الاية (٦١) من هذه السورة ايضا يأتي الحديث حول قوم ثمود ، والنبي صالح (عليه السلام) الذي ارسله الله – تعالى – اليهم فيقول – عز من قائل : ﴿ **وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ .

وفي الاية الرابعة والثمانين من نفس السورة يدور الحديث حول مدين ، والرسول الذي بعث الى مدين كان شعيبا حيث يقول – عز وجل – عنه : ﴿ **وإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ** ﴾ (هود / ٨٤) فالحديث يدور اولا حول الايمان والتوحيد ، وعن خلوص العبادة لله – سبحانه وتعالى – ثم عن سائر الحقائق .

وفي سورة الاسراء يذكرنا – تعالى – بمجموعة متكاملة من القيم الحياتية ، وقد خصصت هذه السورة تقريبا للحديث عن مسؤولية الانسان في الحياة ، وتبتدئ هذه الآيات وتختتم بفكرة التوحيد ، فالحديث يتركز حول الامر ببر الوالدين ، وايتاء ذي القربي حقه ، وعدم التبذير ، والنهي عن قتل الاولاد ، والنهي عن الزنا وما الى ذلك من حقائق ، ولكن هذه الايات تبدأ بهذه الكلمة : ﴿ **لاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً * وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾ (الاسراء / ٢٢-٢٣) ثم تأتي الآيات الاخرى لتحدثنا عن بقية القيم ، الى ان تنتهي بنفس الفكرة التوحيدية فيقول – تعالى – :﴿ **ذَلِكَ مِمَّا**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّـهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾ (الاسراء / ٣٩) .

ومن هنا فقد جرت على لسان بعض المفسرين كلمة جميلة تقول اننا اذا اختصرنا كل القرآن فالمختصر المركز له هو كلمة التوحيد (لا اله الا الله) ، واذا ما اردنا ان نبسط هذه الكلمة ونشرحها فانها ستصبح القرآن كله ، فاختصار القرآن هو كلمة التوحيد ، وتفصيل كلمة التوحيد هو القرآن الكريم ، ومن هنا ندرك اننا اذا اردنا ان نصل الى مفتاح فهم الدين والفلاح والهدى فلابد ان نفهم ونعرف حقيقة الايمان ، ونسعى من اجل ايجادها في انفسنا، فالايمان عندما ينعكس على قلب الانسان ، وعندما يعمر قلب الانسان بنوره فحينئذ ستكون نتيجة وخلاصة ما يحدث في هذا القلب .

الهدى والفلاح غاية المؤمن :

وعن هذا الانسان يقول الله – تعالى شأنه – : ﴿ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة / ٥) اي ان خلاصة ما يحصل الانسان عليه من خلال الايمان يمكن ان يوجز في كلمتين هما (الهدى والفلاح) ، فالهدى يعني معرفة الحقائق ، وما يتصل بروح الانسان وعقله ووعيه ، واما الفلاح فيتصل بجسد الانسان وحياته ومعيشته ، والمؤمن على هدى من الناحية العقلية ، ويمتلك وضوح رؤية وبصيرة ومعرفة بالحقائق ، ومن الناحية الحياتية يمتلك الفلاح ؛ اي انه يتمتع بأعلى درجات السعادة الا وهي الفلاح ، لان الفلاح يمثل ذروة السعادة ، فالانسان قد يكون سعيدا ، فقد جاء في الحديث الشريف : " من سعادة المرء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسلم الزوجة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والمركب البهي ، والولد الصالح " [١] وهذا من سعادة الانسان ، ولكن هل يكتفي المؤمن بهذه الاربعة فقط ؟ طبعا لا ، فهو يحاول ان يصل الى اعلى درجات السعادة ، وحب الله - تعالى - من الدرجات العلى للسعادة والايمان في نفس الوقت .

اننا نقرأ - على سبيل المثال - في سورة المائدة هذه الآيات الكريمة : ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (المائدة / ٥٤) والان لنحاول ان نتدبر في هذه الآية الكريمة ، انها تقول انه قد تحدث ظروف ارتداد في الامة فيما يتعلق بالمسلمين الضعاف الايمان ، على ان الخطاب هنا ليس موجها لعامة الناس ، ولا المسلمين وانما للمؤمنين الذين يمثلون اعلى درجات المسلمين ؛ اي ان هناك ظروفا صعبة تجعل الانسان المؤمن يرتد عن دينه ارتدادا كاملا .

وفي ظروف الارتداد والتراجع والهزيمة هذه تجد رجالا وصلوا الى القمة ، والله - سبحانه - يأتي بهم لمعالجة ظروف الارتداد ، ومن صفاتهم الاساسية ان الله يحبهم ، ويحبونه ؛ اي انهم وصلوا الى مرحلة العلاقة المتبادلة بينهم وبين الله - جلا وعلا - ، فتجاوزت علاقة المصالح المشتركة ، وعلاقة الجنة والنار ، حتى وصلت الى القمة ؛ اي علاقة الحب المتبادل ، ومثل هؤلاء تجدهم على طراز مختلف تماما عن الاخرين ، فالانسان نجده عادة يخضع للقوة ، ولكن هؤلاء يقاومونها ، ونحن نجد الامام امير المؤمنين (عليه السلام) يعبر عن هذه

---

[١] بحار الانوار ج ٧٣ ص ١٥٥ رواية ٣٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفكرة بوضوح في قوله : " القوي العزيز عندي ضعيف ذليل حتى آخذ الحق منه ، والضعيف الذليل عندى قوي عزيز حتى آخذ الحق له " ؛ اي ان العلاقة لاتكون علاقة القوة والضعف ، بل هي علاقة الحق ، لان الانسان الكافر ذليل في رؤية المؤمن مهما كان قويا .

قمم شامخة في رحاب الايمان :

وبالطبع فان هؤلاء هم القمم الشامخة في رحاب الايمان ، والله - تعالى - يصفهم قائلا: ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ (المائدة / ٥٤) وهذه الذروة هي الفلاح لان الانسان لايقتنع ، ولايكتفي بأن يحصل على حياة هانئة ، بل يطلب من الله - تعالى - دائما ان يكون موته قتلا في سبيله ، فهو لايريد الموت الطبيعي ، بل يريد الشهادة ، ومثل هذا الانسان يمتلك طموحا وتطلعا اعلى ، فهو يريد مجاورة النبي (صلى الله عليه وآله) واهل بيته (عليهم السلام) في الجنة .

وعلى هذا فان الفلاح قمة من قمم الايمان ، او ذروة من ذرى السعادة البشرية ، والمؤمنون حقا هم المفلحون لان الله - عز وجل - يقول بشأنهم : ﴿ **أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ (البقرة / ٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

الايمان مصدر الأمل والتفاؤل

يعتبر اليأس من جنود الشيطان واحابيله ، ولكن المؤمنين يطردون اليأس بالأمل ، ويدفعون ما يقذفه الشيطان في قلوبهم بنظرة الى رحمة الله الواسعة .

لقد كنا ذرات تائهة ثم اودعنا في اصلاب آبائنا ، وكنا في بعض المراحل مضغا ثم اصبحنا اطفالا صغارا ، وكنا ضعفاء فقوانا الله وحفظنا من المكاره ، فلماذا لا نذكر رحمة الله ؟ ومتى غيّر عادة الاحسان حتى نبحث عن غيره ؟ انه يأتينا في كل لحظة ، ويدعونا الى نفسه ، وهو الذي خلق دارا لضيافته هيأ فيها كل اسباب الرفاه والسعادة ، فلنفكر في هذه السعادة .

ثم ان الله - عز وجل - لم يكتف بذلك بل بعث الدعاة اليه تلو الدعاة ، والرسائل بعد الرسائل ، فهل علمنا ان القرآن هو بطاقة دعوة لنا الى الجنة ، يقول الله - تعالى - فيها لكل واحد منا : عبدي اني احبك ، وقد خلقتك للبقاء لا للفناء ، ولأرحمك لا لأعذبك ، ولأدخلك جنتي ، وفيها سأعطيك ملكا كبيرا ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونعمة واسعة ، وحياة خالدة فماذا تريد اكثر من ذلك ؟

ان اقل اصحاب الجنة شأنا بأمكانه ان يضيف اهل الدنيا كلهم على مائدة واحدة في بيته ، وقد خلق الله - عز وجل - هذه الجنة للانسان المؤمن المتقي : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص / ٨٣) فالذي يريد الاخرة لابد ان لا يستعلي ، ولا يطلب الفساد في الدنيا ، فالذي خلق الجنة رحيم بنا ، ويضمر الحب لنا .

أحسنو الظن بالله :

فلا يخدعنا الشيطان ويسلب منا الأمل ، وفي هذا المجال يروى " عن أنس انه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " لايموتن أحدكم حتى يحسن ظنه بالله عز وجل فان حسن الظن بالله عز وجل ثمن الجنة " [1] ، كما روي عن العالم عليه السلام انه قال :<< والله ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والاخرة الا بحسن ظنه بالله عز وجل ، ورجائه منه ، وحسن خلقه ، والكف عن اغتياب المؤمنين ، وأيم الله لايعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا ان يسوء الظن بالله ، وتقصيره من رجائه لله ، وسوء خلقه ، ومن اغتيابه للمؤمنين ، والله لايحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظنه به ، لان الله عز وجل كريم يستحي ان يخلف ظن عبده ورجائه . فأحسنوا الظن بالله وارغبوا اليه وقد قال الله عز وجل : " الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء " [2]

---

[1] موسوعة بحار الانوار ج ٦٧ ص ٣٨٥

[2] موسوعة بحار الانوار ج ٦٨ ص ١٤٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحتى لو ارتكب احدنا كل الفواحش ، وترك كل الحدود فان عليه مع ذلك ان لا ييأس من رحمة الله لان يأسه سيكون اشد من ذنوبه .

فلنزدد أملا بالله ، وخشوعا له ، وتضرعا اليه ، ولنكثر من تلاوة القرآن الكريم الذي يخاطبنا قائلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (الاعراف / ٢٠١) ، فالشيطان يدور حول قلب الانسان ، ويحاول ان يجد منفذا ، ولكن المؤمنين يتذكرون، وتتصل قلوبهم بالله – سبحانه وتعالى – ، فيطردون الشيطان ، ويحددون مواقع الضعف في نفوسهم .

هذا في حين ان غير المتقين على العكس من ذلك تماما ، فهم يستمرون في الغي : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ﴾ (الاعراف / ٢٠٢) ، فالشيطان يمني الانسان دائما ، فيقول له – على سبيل المثال – انك لم تتزوج بعد وعندما تتزوج ستصبح انسانا كاملا ، او انك لم تذهب الى الحج بعد وعندما تحج ستتحول الى انسان ممتاز ... وهكذا يظل الانسان يبحث دوما عن فرصة جديدة للهداية في حين ان فرص الهداية موجودة في ارجاء الحياة .

بصائر تسقط الحجب :

والقرآن الكريم هو بصيرة بل بصائر تفتح اعيننا ، فتسقط الحجب عن عقولنا ، وتنفتح منافذ قلوبنا على الحقيقة كما يقول – عز وجل – : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ اَتَّبِعُ مَايُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الاعراف / ٢٠٣-٢٠٤) ؛ أي تدبروا في آياته ، وتحسسوا ما فيه من تجليات هذا الكلام الالهي الذي لو وضع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على الجبال لتصدعت على عظمتها لانها لا تستطيع تحمل تجلي الله .

ثم يقول - عز من قائل - : ﴿ **وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ..** ﴾ (الاعراف / ٢٠٥) اي اذكر ربك في كل الاوضاع والاحوال ، وصل قلبك بمصدر الخير ؛ بالانيس الحبيب القريب .

يروى ان رجلا جاء الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال له : يا رسول الله هل ربنا بعيد فنناديه ام قريب فنناجيه ؟

وهنا ياتي الوحي الى قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) مجيبا اياه :﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة / ١٨٦) . فالله - جلت قدرته - قريب منا بل هو اقرب الينا من حبل الوريد كما يقول الامام علي (عليه السلام) : " وان الراحل اليك قريب المسافة " .

ولنحاول ان نتصل بالله في جميع الاوقات " بالغدو والاصال " وان لا نكون من الغافلين ، فالغفلة سبب لسقوط الانسان ، فهو كمن يمشي على حافة جبل شاهق ، ومجرد غفلة بسيطة تكفي لان يهوي من هذا الشاهق .

ان الشيطان يسعى في كل لحظة لان يسقط الانسان ، فلابد من الحذر والانتباه على طول الخط : ﴿ **وَلا تَكُن مِنَ الْغَافِلِين** ﴾ (الاعراف / ٢٠٥) .

الدعاء مخ العبادة :

ثم يقول - عز وجل - : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾ (الاعراف / ٢٠٦) ، وربما تعني هذه الاية انهم لا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستكبرون عن دعائه ، لان الدعاء هو مخ العبادة ، وهو رمز التضرع ، وعلينا ان نطلب من الله ، فهو غني رحيم ، ولتكن ادعيتنا واسعة فليس من المستبعد ان يستجيب لنا الله مهما كانت طلباتنا ، فنبي الله سليمان (عليه السلام) دعا ربه : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ (ص / ٣٥) ، وزكريا (عليه السلام) قال : ﴿ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ (الانبياء / ٨٩) فوهب الله له ولدا رغم انه كان طاعنا في السن ، وكانت زوجته عاقرا .

ان هذه اشياء غير محالة على الله - جل وعلا - ، فعلينا عندما نطلب منه ان لا نطلب قليلا ، بل علينا ان نطلب منه طلبات عظيمة من شأنها ان تسهم في نمونا الروحي وتكاملنا، وقبل كل ذلك يجب ان نطهر انفسنا من رواسب الذنوب التي ما تزال متراكمة على قلوبنا ، فاذا بنا لا نستفيد الاستفادة المثلى من صلاتنا ، هذه الصلاة التي يقول عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " قرة عيني الصلاة ".

كما وعلينا ان نكتشف من الممارسات العبادية المستحبة لكي نكون مؤهلين للدخول الى الجنة ، والفوز بدرجاتها العليا ، من مثل الالتزام بأداء صلاة الليل ، وتلاوة القرآن الكريم ، صحيح ان الجنة هي رحمة الله الواسعة ، ولكن هناك حسابات معينة فيها .

الخضوع لله تعالى :

فلندع الله - سبحانه - ، وليكن املنا به عظيما ، ولتكن همتنا عالية ، وعلينا ان نعلم ان المؤمنين يسجدون لله ولا يسجدون لغيره ، وعند التسبيح ينزهون الله

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقدسونه ولا يقدسون احدا غيره كما يقول - تعالى - :

﴿ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (الاعراف / ٢٠٦) ، انهم لا يذهبون الى الحكام والملوك لكي يقدسوهم ، ولا يخضعون لهذا وذاك ، رغم انه ليس من السهولة بمكان ان لا يخضع الانسان لصاحب سلطان ، او ثروة ، فمن الطبيعي ان الانسان يكون ضعيفا امام اغراء الثروة ، وكذلك الحال بالنسبة الى السلطان ، ولكن المؤمن الحقيقي لا يتأثر بذلك ابدا .

وفي هذا المجال يروي لنا التأريخ ان الحاكم الاموي سليمان بن عبد الملك بعث رسولا الى احد العلماء والفقهاء في المدينة المنورة ليخطب ابنته لابنه الوليد ، وعندما قابل الرسول ذلك العالم قال له " لقد اصابك شرف عظيم ، ونعمة كبيرة ، فقال العالم : وما هو ؟ ، فقال : لقد اتيت من قبل الخليفة الذي يمتلك ثلاثين بلدا في العالم الاسلامي لكي اخطب ابنتك لابنه، واما المهر فاننا سنجعلها في كفة ونجعل في الكفة الاخرى الذهب والفضة والاحجار الكريمة بقدر وزنها ، ونعطيه مهرا لها ، فما كان من ذلك العالم التقي الورع الا ان قال : حدثنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، وماذا يملك سليمان بن عبد الملك من هذا الجناح ، اذهب فان الله - سبحانه وتعالى - يقول : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير / ٨-٩) ، فتعجب الرسول وقال : وما شأن هذه الاية بأبنتك ؟ فقال العالم : وهل تريد وادا اخطر من هذا الوأد ، لقد كان الجاهليون يئدون بناتهم تحت التراب ، فهل تريد مني ان ائد ابنتي واجعلها في الفساد والرذائل ، وادفعها في قصور الملوك ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا فان هذا هو الايمان الحقيقي ؛ الايمان الذي يدفع صاحبه الى ان يتحدى الطغاة والجبابرة ، ولا يتنازل عن عقائده ومبادئه خشية وخوفا منهم ، وهذا الايمان هو الذي يبعث الامل في النفس الانسانية ، ويجعلها تتغلب على العقبات ، والصعاب التي تقف في مقدمتها تلك التي يضعها الشيطان الرجيم في طريق الانسان المؤمن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

الايمان زادنا في الصعاب

بين الانسان والحقائق حجاب من الكفر ، فالكفر يعني لغة الستر ، ومن هنا سمي الفلاّح (كافرا) لانه يستر الحبة تحت التراب ، وهكذا الحال بالنسبة الى الانسان الكافر فهو يحجب عن نفسه الحقائق بالاوهام والتمنيات ، وهذه هي اعقد مشكلة يواجهها الانسان ، واخطر عقبة لابد ان يجتازها البشر لكي يتصلوا بالحقائق بشكل مباشر .

الكافر لايستوعب الحقائق :

ان قلب الانسان الكافر لا يستوعب الحقائق ، فصدره ضيق محدود ، ونظراته محدودة ، ولذلك فانه يتعجب اذا جاءه منذر : ﴿ **بَلْ عَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ** ﴾ (ق/٢-٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

افلا يرى هذا الكافر انه كان ترابا فخلقه الله انسانا سويا ، فكيف يكون رجعه بعيدا ؟ ان الله – تعالى – يقرر ان الشيء الاهم هو احاطته علما بكيان الانسان ، وبمن يموت ، ويحيا ، وبكل خلية في بدن الانسان تنمو او تنقص :

﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ (ق / ٤-٥) .

فالانسان عندما يكذب بالحق لايجد الا الباطل ، والباطل لا يعطي الانسان سكينة ولا اطمئنانا ، ولا ثقة ، فالذي لم يبلغ الحق تراه ابد الدهر في تردد وقلق وحرج لا يعرف ماذا يصنع ، فالامور مختلطة ومتشابهة ومظلمة بالنسبة اليه .

اما ذلك الانسان الذي خرق حجاب الكفر ، وعاش مع الحقائق مباشرة بحيث ينظر من خلالها الى كل شيء في هذا الوجود ، فهو ينظر الى وجه الله – سبحانه وتعالى – ويشاهد تلك الحقائق التي عجز الفلاسفة والمفكرون عن الوصول اليها .

ولننظر الى الفرق الشاسع بين نظرة الانسان العادي الى السماء ، ونظرة الانسان المؤمن ، فالاول لعله يلهي نفسه بتعداد طائفة من النجوم ، في حين ان الانسان المؤمن عندما ينظر في السماء ، ويرى النجوم التي تزينت بها ، فيعلم ان كل نجمة منها تقع ضمن منظومة شمسية ، وان بعض هذه النجوم البعيدة عنا التي من الصعب علينا ان نراها بأعيننا هي شموس اكبر من شمسنا مئات بل الوف المرات ... عندما يرى الانسان المؤمن كل هذه الايات المعجزة الباهرة يسجد لربه قائلا :

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران / ١٩١) .

وهكذا فانه من خلال نظرة واحدة الى هذه النجوم ، والى ما وراءها ، والى قوة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومتانة خلقها ، يتصل قلبه بكل الحقائق ، وبالهدف الذي خلق الخلق من اجله وبالحكمة التي وراء هذا الخلق .

وحينئذ يتفتح قلب هذا الانسان ، وينشرح صدره بالايمان ، فلا يعبأ بالمصائب والمآسي والكوارث ، لانه يعلم ان الله - عز وجل - يحيط علما بكل ذلك وقدرة ، فهو القادر على ان يفرجها عنه .

وهناك من الناس من يمتلك الصبر ، ولكن صبره هذا محدود ، فهو يصبر على مصيبة دون الاخرى ، اما الانسان المؤمن فانه يملك معدن الصبر ، فكلما استخرج منه بقي هذا المعدن ثابتا ولذلك نقرأ في الدعاء المأثور : " اللهم صلي على محمد وآل محمد وهب لي ثبات اليقين ، ومحض الاخلاص ، وشرف التوحيد ، ودوام الاستقامة ، ومعدن الصبر ، والرضا بالقضاء والقدر . "

الايمان معدن الصبر :

فما هو معدن الصبر يا ترى ؟ انه الايمان بالتأكيد ، فأسقط ما بينك وبين الحقائق من حجب الكفر والجحود ، ودع قلبك ينطلق في رحاب الحقيقة ، ثم انظر الى هذه الحقيقة نظرة مباشرة لكي تحصل على معدن الصبر .

عن حفص بن غياث انه قال : قال ابو عبد الله عليه السلام : يا حفص ان من صبر صبر قليلا ، وان من جزع جزع قليلا ثم قال : عليك بالصبر في جميع أمورك ، فان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه واله وسلم فأمره بالصبر والرفق ، فقال : ﴿ **وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ** ﴾ (المزمل / ١٠ - ١١) وقال تبارك وتعالى : ﴿ **ادْفَعْ بِالَّتِي**

هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت / ٣٤-٣٥) .

فصبر (صلى الله عليه وآله) حتى نالوه بالعظائم ، ورموه بها ، فضاق صدره فأنزل الله عز وجل عليه ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (الحجر / ٩٧-٩٨) ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَيُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (الانعام / ٣٣-٣٤) .

فألزم النبي عليه الصلاة والسلام نفسه الصبر ، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه فقال : قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر الهي فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾ (ق / ٣٨- ٣٩) فصبر في جميع احواله ثم بشر في عترته بالائمة ، ووصفوا بالصبر فقال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة / ٢٤) .

فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله : " الصبر من الايمان كالرأس من الجسد " ، فشكر الله عز وجل ذلك له ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَاكَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ (الاعراف / ١٣٧) فقال صلى الله عليه واله : انه بشرى وانتقام ، فأباح الله عز وجل له قتال المشركين فأنزل الله ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ (التوبة / ٥) ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم ﴾ (البقرة / ١٩١) فقتلهم ا لله على أيدي رسول ا لله عليه الصلاة والسلام وأحبائه ، وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الاخرة ، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر ا لله عينه في اعدائه مع ما يدخر له في الاخرة .

القرآن بصائر :

والقرآن الكريم هو بصائر ؛ بمعنى انه يفتح اعيننا على الحقائق بصورة مباشرة ، ولذلك قيل ان الدين هو تجربة شخصية ؛ اي ان تبحث عنه وتصل اليه بجهودك الشخصية ، والقرآن الكريم يقرر ان الدين تبصرة : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (ق / ٨) .

ويستأنف - تعالى - قائلا - :﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ (ق / ٩-١٠) فلننظر الى النخل ؛ كيف ترتفع الى السماء الى ما يقرب من عشرين مترا ، وتسحب الماء من باطن الارض ، ولنتأمل العناقيد المتدلية منها ، وكيف نضجت ثمارها مع بعضها البعض بهذا الشكل الهندسي اللطيف .

وبناء على ذلك فاننا بحاجة الى زاد الايمان في كل الاحوال سواء عشنا المشاكل ام لم نعشها ، وسواء دخلنا الصراعات ام لم ندخلها ، فنحن نحتاج اليه في الدنيا ، وفي مسيرتنا الطويلة بعد الموت .

وهكذا فان الطريق الممتد امامنا طويل ، ونحن بحاجة الى زاد يتمثل في اعمالنا التي قد لا نثق بها ، ومعرفتنا با لله - سبحانه وتعالى - واملنا به ، وفي هذا المجال يروى عن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال :" أن ا لله لا يستجيب دعاء بظهر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قلب ساه ، فاذا دعوت فأقبل بقلبك ثم استيقن الاجابة " [1] . فللانسان لسان ينطق بذكر الله ، ولكن قلبه شارد هنا وهناك ، فاذا قلت : يا الله ، ودعوته ، واسقطت الشركاء بينك وبين ربك ، فحينئذ يقول - تعالى - للعبد : لبيك عبدي لبيك ..

ونحن نحتاج الى زاد الايمان في الظروف العادية فما بالك بالظروف الصعبة ، فنحن اليوم نعيش التحديات ، ونعيش الصراع الحاسم ، ونمر بعصر استثنائي ، ففي كل يوم تستشهد طائفة من رفاق جهادنا ، فحياتنا مليئة بالمشاكل والصعاب ، ونحن في احوج ما نكون الى المعنويات ، والايمان بالله - تعالى - بقف في طليعة هذه المعنويات .

ثوار القيم وثوار الظروف :

وفي هذا المجال : اي مجال الجهاد ، نوعان من الناس كلاهما يقومون بالثورة ، ويتحدون ، ويخوضون الصراع ، ولكنهم يختلفون عن بعضهم في صفة واحدة ؛ فهناك ثوار القيم ، وهناك ايضا ثوار الظروف ، فقد يرى البعض ان شعلة الثورة قائمة ، فيحشر نفسه فيها ، وهؤلاء يسمونهم (ثوار الظروف) ، وهناك البعض الاخر الذين هم ثوار القيم ، فنراهم منذ البدء يؤمنون بالله ويكفرون بالطاغوت ، ذلك لان الكفر بالطاغوت جزء من الايمان بالله الذي يعني رفض الطاغوت ، والجبت ، والشركاء ، والانداد ، ومن هذا المنطلق يبدأ الانسان المؤمن تحركه .

ولنفترض ان كل الناس قد خضعوا للطاغوت فان هذا لا يعني ان يلوذ الانسان

---

[1] موسوعة بحار الانوار ج ٩٠ ص ٣٠٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالسكوت بل يجب عليه ان يحاربه بمفرده ، لان هذا هو منطلق ايمانه فالمؤمنون كافرون بالطاغوت في كل الاحوال سواء انتصروا ام فشلوا .

ومع كل ذلك فان كل الظروف الصعبة التي نمر بها من شأنها ان تقربنا من النصر وتقرب اعداءنا من الهزيمة ، ولابد ان تبقى حربنا المقدسة مع طواغيت الارض مشتعلة حتى ييأس الكفار من ان ينالوا من ديننا وقيمنا ، وارادتنا ، وحينئذ سينهزمون نفسيا ، ويولون الادبار ، لاننا نمتلك (زاد الايمان) الذي يمثل قوتنا العظمى في مواجهة تكالب اعداء الله علينا ، هذه القوة التي ينبغي علينا ان لا نستهين بها مطلقا لانها تمثل الخلفية المنيعة والقوية للقوة المادية المتمثلة في العدة والسلاح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السادس

الايمان طريق الاستقامة

ان اعظم وسام يشرف الله - تعالى - به الانسان هو ذلك الوسام الذي وعد بمنحه للمستقيمين على الطريقة ؛ فالذين استقاموا يعطيهم الله - عز وجل - درجة هي من اختصاص الانبياء (عليهم السلام) ، لان ميزتهم هي انهم يؤيدون بالوحي ، ويهتدون بعلم الله ، وينظرون بنوره ، ويمنحون درجة الامن في حياتهم الدنيا كما يمنحونها في الاخرة ، والى ذلك يشير قوله - تعالى - : ﴿ **فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (البقرة / ٣٨) ، وهذه الميزة يتفضل الله - سبحانه - بها على المستقيمين على الطريقة بعد الانبياء ، ذلك لانه - تعالى - يقول :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ (فصلت / ٣٠) .

والاستقامة هي الدرجة الرفيعة العليا التي لا يصل اليها الا القليل من الناس ، ويؤيد ذلك الحديث المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) والذي يقول فيه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

" الناس هالكون الا العالمون ، والعالمون هالكون الا العاملون ، والعاملون هالكون الا المخلصون ، والمخلصون على خطر عظيم" .

فحتى الذي يخلص لله عمله ، ويبلغ درجة الاخلاص الرفيعة يكون على خطر عظيم لانه لا يعلم كيف ستنتهي عاقبة امره ، ولا يدري هل سيموت مؤمنا ام ينحرف قبل وفاته .

ومن الناس من انحرف قبيل وفاته فمات بعيدا عن الله ، بعيدا عن الجنة والرحمة ، ولذلك كانت وصية الانبياء (عليهم السلام) لابنائهم متمثلة في قوله - تعالى - : ﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة / ١٣٢) ، وهذا هدف عظيم يجب ان يتبناه الانسان في حياته ؛ وهو ان يحرص على ان لا يموت الا وهو مسلم ، لان الحصول على الجنة هو اعظم الاهداف ، وهذا الهدف لا يمكن ان يتحقق الا بعد ان تختم حياة الانسان بالحسنى .

ولكن كيف نحقق هذا الهدف الذي يأتي بعد الايمان من ناحية الاهمية ، الا وهو هدف الاستقامة الذي اشار اليه - تعالى - في سورة فصلت قائلا :﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ (فصلت / ٣٠) .

مواجهة التحديات بالتوكل :

وسورة هود التي تبين تحديات الامم الماضية للرسل ، وكيف انهم واجهوا تلك التحديات الكبيرة بالتوكل على الله - سبحانه - ، هذه السورة تتضمن في خواتيمها حكمة تعبر عن محتواها ومغزاها متمثلة في قوله - عز من قائل : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾ (هود / ١١٢) ، وفي هذا المجال يروى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن النبي (صلى الله عليه وآله) ان احد اصحابه تعجب عندما رأى كثرة الشيب في رأسه الكريم رغم ان سنه كان بين الاربعين والخمسين ، فقال (صلى الله عليه وآله) له : " شيبتني سورة هود " .

وهكذا فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) المؤيد بالوحي ، والذي كان نبيا وآدم ما بين الطين والتراب ، والذي اخذ الله - تعالى - ميثاق الايمان برسالته من كل النبيين ، هذا النبي كان يهتز عندما يسمع قوله - عز وجل - : ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ** ﴾ .

ومن هنا نستنتج ان الطريق طويل ، والعقبات كثيرة ، والامتحانات والفتن عظيمة ، واننا يجب ان لا نغتر بأنفسنا ، بل علينا ان نثبت على هذه الطريقة الى نهاية اعمارنا ، ولقد كنا نسمع الخطباء وهم يرددون من فوق المنابر قول النبي (صلى الله عليه وآله) : " يأتي زمان على امتي القابض فيه على دينه ، كالقابض على جمرة من نار" .

ولكننا لم نكن ندرك مغزى هذا القول حتى وقعت حوادث في هذا الزمان ، ورأينا كيف ان الكفار استولوا على البلاد ، وحرموا على الناس اقامة الشعائر الدينية ، ثم اكتشفنا حينئذ ان المستقيم على دينه ، والمحافظ عليه هو اصعب حالا من القابض على جمرة من نار .

وبناء على ذلك ؛ كيف أغتر بنفسي ، وامنيها بان تكون نهايتي سعيدة من دون التوكل على الله ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، ولتكن لنا في هذا المجال اسوة حسنة في ائمتنا (عليهم السلام) ، فعن ابن ابي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول وهو رافع يده الى السماء : رب لا تكلني الى نفسي

طرفة عين ابدا لا أقل من ذلك ولا أكثر قال : فما كان بأسرع من أن تحدر الدموع من جوانب لحيته ثم أقبل علي فقال : يا أبن أبي يعفور ان يونس بن متى وكله الله عز وجل الى نفسه أقل من طرفة عين فأحدث ذلك الذنب ، قلت : فبلغ به كفرا اصلحك الله قال : لا ولكن الموت على تلك الحال هلاك . [1]

وسام الاستقامة :

وهكذا فان اعظم وسام هو وسام الاستقامة الذي منحه الله - جل شأنه - للذين يستقيمون على الطريقة ، فهؤلاء تتنزل عليهم الملائكة تترى ، كما يقول - تعالى - :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ** ﴾ (فصلت / ٣٠) .

والسؤال المهم المطروح في هذا المجال هو : كيف نستقيم على الدرب ؟

وقبل ان اجيب على هذا السؤال لابد ان اقدم له بتفسير معنى (الايمان) ؛ هذه الكلمة التي شاعت وتكررت في القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، فما هو الايمان ، وما هي اركانه وشروطه ، وكيف نحقق الايمان الحق في انفسنا ؟

ان الايمان يتجلى عندما يخير الانسان بين هوى النفس والحق فيختار الحق ويذعن له وخصوصا عندما يكون هذا الحق مخالفا لهواه ، وعلى هذا فاننا نقف ازاء ظاهرة مهمة هي ظاهرة الايمان ، واختيار الحق على الهوى ، وعادة ما تبدأ خيارات الانسان بين الحق وهوى النفس بسيطة ليتقدم في الايمان تدريجيا حتى يصل الى

---

[1] الكافي ج ٢ ص ٥٨١

مستوى الاستقامة ، وعلى العكس من ذلك فان الذين يختارون الهوى فانهم يتنزلون درجة بعد اخرى حتى يصلوا الى درجة اسفل السافلين .

والامتحان في مدرسة الله - تعالى - لايكون حسب اختيار الانسان وهذه الامتحانات تتدرج في الصعوبة حتى يصبح الانسان قريبا من درجة الانبياء ، اي درجة الذين يستقيمون على الطريقة ، اما عندما يسقط هذا الانسان في الامتحان الالهي فانه ينزل درجة الى الاسفل .

وبالطبع فان بامكان الانسان ان لا يسقط ، وان يهديه الله - تعالى - في لحظة من اللحظات كما حدث للحر بن يزيد الرياحي الذي سقط في الامتحان الاول عندما لم ينضم الى جبهة الحق في عهد مسلم ، ولم يترك الكوفة - مثلا - لكي لا يضطر الى الاشتراك في الحرب ضد الامام الحسين (عليه السلام) لانه كان ضابطا كبيرا يرغب في ان يحصل على مفخرة في هذه الحرب ، وهكذا اشترك في البدء في الحرب ضد ابي عبد الله (عليه السلام) وجعجع بأهل بيت الرسالة ، ولكنه في لحظة من اللحظات صعد بشكل مفاجيء وسريع فانتقل من اسفل السافلين ، الى اعلى عليين بفضل الله سبحانه وتعالى .

ومن الثابت ان الانسان كلما سقط درجة فانه يبتلى بامتحان اخر فيسقط درجة اخرى حتى يصل الى ادنى المستويات كما يقول - تعالى - : ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَآءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾ (الروم / ١٠) اي ان الانسان الذي يرتكب المعاصي ، ويسقط في دركات العصيان دركة فدركة ، فان هذا الانسان ينتهي به الامر الى الكفر بكل شيء .

وعلى هذا فان علينا ان نكون حذرين ، فاذا اذنبنا الذنب الاول فان علينا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاعتراف به ، وان لا نبرره لاننا لو بررناه فان حالنا سيزداد سوء ، وعلى سبيل المثال فان الانسان المسلم الذي يترك الصلاة ، ويبرر تركه لها بان الله لم يوفقه بعد لهذا الطريق رغم انه يعلم ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فان مثل هذا الشخص احسن حالا من ذلك الذي يبرر تركه للصلاة بانها ليست واجبة اساسا ، فمثل هذا التبرير هو أسوء من ترك الصلاة ، ذلك لان الانسان عندما يترك الصلاة وهو مقتنع بوجوبها فان من الممكن ان يهديه الله - عز وجل - في يوم من الايام ، اما الذي ينكر الصلاة فان الامل بهدايته بعيد .

اول مراحل الايمان :

ولذلك فان الانسان يجب ان لايعتبر نفسه معصوما من الخطأ ، فكل انسان يخطأ ، والاعتراف بالخطأ هو بمثابة ارتقاء اولى درجات التوبة الا وهي الندم ، فالندم يأتي بعد الاعتراف بالذنب داخليا ، ولذلك فان من المفروض بالانسان ان يستشعر الندم اولا ثم يتوب الى الله ، ويصلح عمله ، فاذا ترك الصلاة فليقضها ، واذا اخذ اموال الناس فليرجعها اليهم، وبهذا الاسلوب يمحي الانسان آثار الذنوب من نفسه ، ويضمن النجاح في الامتحانات الالهية ، اما الانسان الذي لا يتوب الى الله ، فان الذنب سيتكرس في قلبه ، ويكون من الصعب عليه ان يزيل هذا الذنب لان نفسه سيحيط بها المرض .

وهنا توجد فكرة استوحيتها من آيات سورة الحديد التي هي من غرر سور القرآن الكريم شريطة ان تكون لنا آذان واعية ؛ هذه الفكرة تتمثل في ضرورة ان يستشعر الانسان المؤمن الخشوع في قلبه كما يقول - تعالى - : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الحديد / ١٦) .

والمهم في سورة الحديد المباركة ان القرآن الكريم يصرح ان كل ما في الوجود يسبح لله وينزهه ، فهو – تعالى – لا يشبه شيئا ، ولا يمكن ان تتصوره الاوهام ، فهو نور ولكن لا كالنور الذي نعرفه .

وهو المقتدر المهيمن : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (الحديد / ٥) ، ومن آيات ملكه انه يخلق الشجرة من الحبة الصغيرة ، ويجعل الانسان السوي من نطفة تافهة ، واذا شاء سلب منه روحه فاذا هو جثة هامدة : ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الحديد / ٢) ، وبناء على ذلك فان الله – جل وعلا – على كل شيء قدير ، فقد خلق الفيل والحوت بعظمتهما ، وخلق ايضا الذبابة والبعوضة على صغرهما في حين ان هذين الحيوانين الصغيرين مثل ذينك الحيوانين الضخمين في اجهزتهما ، فسبحان الله الذي يخلق ما لا يمكن للانسان ان يتصوره .

ثم يستأنف – تعالى – قائلا :﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾ (الحديد / ٣) ففي المرحلة الاولى من يوم القيامة يكون الموت عاما وشاملا من خلال اسرافيل الذي يميت بنفخة صوره كل شيء حي، وهنا يبقى شيء واحد حي غير الله – تعالى – الا وهو اسرافيل نفسه ، وفي هذه اللحظات يأتي الخطاب من الخالق – عز وجل – لاسرافيل : من هو باق ؟ فيجيب : عبدك الذليل اسرافيل ، وحينئذ يقول له تعالى : مت ، فيموت وينتهي ، وحينئذ ينطلق النداء من الواحد القهار لمن الملك اليوم ؟ فيدوي هذا النداء في الارض والسماء ، وفي الوجود والعدم ولا من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مجيب ، حتى يجيب – تعالى – نفسه قائلا : لله الواحد القهار .

ويستمر السياق القرآني الكريم قائلا : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (الحديد / ٣-٤) .

فاذا نزلت قطرة من السماء الى الارض فان الله – سبحانه – يعلم بها ، وكذلك يحيط علما حتى بالنبتة الصغيرة التي تخرج من الارض .

مفهوم الاستخلاف :

ويقول – عز وجل – بعد ذلك مشير الى مفهوم (الاستخلاف) : ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد / ٧) ، ترى ماذا يعني " الاستخلاف " ؟ للجواب على هذا السؤال نقول ان هناك نظرية ترى ان الانسان له الحق في ان يمتلك وهي نظرية (هيجل) في الارادة ، هذه النظرية التي يتبناها النظام الرأسمالي والتي تقول ان الانسان مادام مريدا ، فان هذه الارادة تعطيه الحق في ان يمتلك ، وهذه هي نظرية الحق المستنبط من الارادة ، وقد انبثقت منها في علم الاقتصاد نظرية (آدم سميث) الخاصة بالاقتصاد الحر ، وفي علم القانون ترى هذه النظرية ان (العقد) هو شريعة المتعاقدين ، وفي السياسة هناك نظرية (جان جاك روسو) التي يقول فيها ان النظام السياسي قائم على العقد الاجتماعي .

وهذه النظريات كلها تدور حول محور واحد هو (ارادة الانسان) ، وهنا من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقنا ان نتساءل : ترى هل جئنا نحن بهذه الارادة التي نمتلكها ، ام ان الله - تعالى - هو الذي اعطانا اياها ؟ ، في هذا المجال يصرح القرآن الكريم قائلا : ﴿ وَمَا تَشَآؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّه ﴾ (الانسان / ٣٠) ، وبناء على ذلك فانني لست المالك الحقيقي ، فروحي بيده - عز وجل - فان قبضها واصبحت تحت التراب ، فهل يمكنني بعد ذلك ان ادعي الملك ؟ فهل يملك شيئا من هو تحت التراب ؟

واستنادا الى ذلك فان الانسان لا يملك شيئا ، ومادام كذلك فان الله - جلت قدرته - هو المالك المقتدر ، كما ان علاقتنا بالمال هي مجرد علاقة الاستخلاف الذي يعني اننا مفوضون في المال الذي رزقنا به حسب القانون الموجود ، تماما كما نرى ذلك في العلاقة بين الموكل والوكيل .

الانفاق مفهوم عام :

وفي هذه الاية :﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (الحديد / ٧) ليست هنا اشارة صريحة الى ان الانفاق يجب ان يكون من المال حتما ، فالانسان ربما لا يملك المال ، بل قد يمتلك - مثلا - اللسان الطيب ، وعلى هذا الاساس فان اللسان من الممكن ان يكون رأس مال استطيع ان استثمره في سبيل الله من خلال استخدامه في طريق الخير ، واستعماله في الاصلاح بين الناس كما يقول الحديث الشريف : " اصلاح ذات البين افضل من عامة الصلاة والصيام " .

وهكذا الحال بالنسبة الى (الجاه) - مثلا - فان باستطاعتي ان اوظفه ، و (انفقه) في سبيل الخير العام : كأن استغله في جمع التبرعات للفقراء ، وبناء المساجد ، والاصلاح بين الناس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبالاضافة الى ذلك فان الانسان قد يمتلك العلم ، ومن المعلوم ان زكاة العلم هو نشره بين الاخرين ، واخراج هذا النور من قلوبنا ليستضيء به الناس ، وربما يتذرع الواحد منا في هذا المجال بأنه ليس عالم دين ، وانه لم يضع لحد الان عمامة على رأسه ، وفي هذه الحالة فان الناس سوف يستهزؤون به اذا ما قدم العلم والنصح لهم ، في حين ان الامر على العكس من ذلك تماما ، فالانسان الذي ينفق من علمه سوف يزداد علما ، فكلما اعطى هذا الانسان شيئا في سبيل الله - عز وجل - كلما رفع من شان صاحبه ، ونمى ما يعطيه .

وتأسيسا على كل ما سبق فان القضية كلها تتلخص في كلمة واحدة هي ان الانسان يجب ان يعرف ان كل ما في يده من مال ، وجاه ، وعلم ، ورئاسة .. انما هو مستخلف فيه ، وان عليه ان يتخذه طريقا لمرضاة الله - جل شأنه - .

واذا ما ترسخ هذا الاسلوب لدى الانسان فستحصل عنده الاستقامة التي توجب عليه ان يجعل كل قدراته ، وممتلكاته وسيلة للتقرب الى الله - تعالى - ، وحينئذ ستنتهي حياة هذا الانسان بالحسنى التي يشير اليها قوله - عز من قائل :

﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة / ١٣٢) .

والا فان الانسان الذي يرى ان كل شيء هو ملك له وحده دون الاخذ بنظر الاعتبار كون الملك الحقيقي لله - عز وجل - ، مثل هذا الانسان يسقط في الامتحانات الالهية الواحد تلو الاخر حتى يكون مصداقا لقوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ (التين / ٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل السابع

الايمان منطلق تحمل المسؤولية التغييرية

كما ان الشمس هي مصدر انبعاث كل نور ، واصل كل طاقة كامنة كانت ام ظاهرة ، فكذلك الحال بالنسبة الى الايمان با لله - جل وعلا - ، الذي يقتضي الايمان بالقدرة والهيمنة والتدبير الالهي ، فهو - اي الايمان - مصدر سيادة كل قيمة خيرة ، واصل وينبوع كل فضيلة في حياة الانسان .

وبالايمان با لله - تعالى - تنطلق المسيرة الفكرية في الجادة السوية ، وينتظم النشاط الذهني ، ويضاء العقل فيغدوا محملا للنور الالهي الذي به تشرق سبل الحياة ، وتتفتح امامها الآفاق الحضارية . ذلك لان ا لله - جلت قدرته - هو مصدر كل نور ، فهو نور السماوات والارض ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ** ﴾ (النور / ٣٥)

وعندما يؤمن الانسان با لله - سبحانه - ويضاء عقله ، ويشرق فكره بالنور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الالهي ، فان سائر معارفه عن الحياة سوف تتمحور حول منهاج صائب سليم . فمعرفة الخالق هي نور القلب ، والمؤمن انما ينظر الى الحياة ، ويلج ابوابها ، و يتحرك في رحابها بهدى من ذلك النور الالهي . فبه يكتشف مجاهل واسرار الحقائق ، ويتوصل اليها ، ويعرف كنهها بمقدار ما تسمح له طاقته العقلية ، وبدرجة قوة النور الالهي الذي يعمر قلبه وذهنه .

الحدود الواسعة للمعرفة :

وهذه المعرفة لا تتوقف عند مظاهر الاشياء ، لان هذه الظواهر هي وسيلة العقل المؤمن لكشف الحجب ، ومعرفة ما قدر الله - تعالى - لاوليائه من الغيوب . فكما انه - تعالى شأنه - علام الغيوب ، وعالم الغيب والشهادة ، فكذلك المؤمن فبما تفضل عليه ربه من نور من عنده - تعالى - فانه يعلّمه ، ويوحي اليه ، ويطلعه على بعض انباء غيبه كما يقول القرآن الكريم :

﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ (آل عمران / ٤٤)

وعلم الغيب يعني علم ما وراء الظاهر ، وعلى سبيل المثال فان النار تحرق وهذا هو الظاهر منها الذي تدركه الحواس مباشرة ، ولكن لماذا تحرق ؟ ان هذا هو الغيب الذي يكمن وراء حقيقة الاحراق الظاهرة .

ولعل من ابرز الحقائق المغيبة التي استطاع العقل بالنور الالهي ان يكشف الحجاب عنها هو التساؤل الفلسفي العام الذي اجتهد الفلاسفة والحكماء واهل الكلام في سبيل الاجابة عنه ، وهو : ماهي الحكمة ، وماهي الفلسفة من هذه الحياة التي نحياها ؟ وما الهدف من ورائها ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان الحقائق تكشف للانسان المؤمن عن ما وراءها من المغيبات مادام ينظر اليها بنور العقل الالهي المنبعث من بؤرة الايمان با لله - تعالى - اما الانسان العادي البسيط فانه ينظر الى الاحداث ، والظواهر المحيطة به نظرة سطحية عابرة . فلا يكلف نفسه عناء الكشف عن القوانين ، والحقائق الخفية الكامنة وراءها ؛ فهو - على سبيل المثال - عندما يستقل واسطة نقل ما ، كأن تكون دابة ، او سيارة ، او طائرة لتنقله من مكان الى آخر ، فانه ينظر اليها نظرة عادية بسيطة كبساطته ، فلا تعدو عنده سوى وسيلة تنقله من مكان لآخر فحسب . في حين ان الانسان المؤمن ينظر اليها على انها اداة مسخرة له باذن ا لله - تبارك وتعالى - ولذلك نجده يردد قوله - تعالى - وهو ينظر اليها :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّآ إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾

(الزخرف / ١٣ - ١٤)

وهكذا فان نظرة المؤمن لا تقف عند ظاهر الاشياء ، او مرحلة من مراحلها ، بل هي نظرة الى سلسلة ممتدة ، وجواهر باطنة تقوده الى ربه ، وتقربه اليه - تعالى - . وبتعبير موجز فان النظرة الايمانية هي نظرة جوهرية تستمد عمقها ، وتستلهم حكمتها من نور ا لله العظيم ، وهذه النظرة المنطلقة من الايمان هي التي جعلت المؤمن يعيش الشعور العميق بالمسؤولية تجاه كل شيء في الوجود ، والمسؤولية هذه هي احدى أهم الحقائق التي ينبغي البحث عنها وتحملها .

العلم المغيب :

وهذا ما نلمسه في القرآن الكريم ، حيث وضع حقيقة مسؤولية الانسان عن حياته ضمن منظومة من آيات ا لله - تعالى - في الطبيعة إذ يقول - جل وعلا :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ ﴾ (الرعد / ٨) . فهذه حقيقة عجز العلم الذي بلغ ما بلغه من عظيم التطور والتقدم والرقي في معلوماته وامكانياته وتكنلوجيته عن التوصل اليها . فالمسألة لا تتوقف على كون الجنين ذكرا أو انثى ، بل ان حديث العلم الالهي الذي يعكسه القرآن في هذه الآية يمتد الى اكثر من ذلك ؛ فمما يريد تبيانه من علم مغيب على الانسان في هذا الصدد هو : هل ان هذا الذي سيولد في المستقبل سيكون سعيدا أم شقيا ، مؤمنا أم كافرا ، بطلا ام جبانا ، وماذا سيكون في طبعه ونفسيته ... وما الى ذلك من الموروثات ، حتى أحصيت عدد الاحتمالات التي سيخرج بواحد منها بثلاثمائة ألف مليار احتمال ، فانظر كم هو هائل هذا الرقم ، فأنّى للعلم مهما تقدم ، وتطور ان يحدد هذا الاحتمال الواحد بين ذلك العدد الكبير ؟

ان هذا هو الذي تعنيه الآية الكريمة ، فعلم كهذا يبقى مغيبا عن الانسان ، ويبقى علمه عند الله - جلت قدرته - وحسب ، ولذلك فمن المستحيل ان يولد اثنان متشابهان في كل الصفات والطباع . والمراد بقوله - تعالى - : ﴿ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ ﴾ ، هو حالة عدم انعقاد النطفة ؛ اي عدم تخصيب بيضة المرأة ، وهو ما نسميه اليوم بـ (العقم) الذي قد يكون بسبب احد الزوجين ؛ فاما ان تحدث الحالة الطبيعية ، وهي كون الوليد واحدا ، او الحالات الشاذة وهي حالات العقم او " غيض الرحم " ، او حالات تعدد الاجنة ، وهو ما يشير اليه - سبحانه - في قوله : ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ .

ثم يعقب - جل وعلا - ذكر هذا العلم المغيب عن الانسان بذكر التقدير الالهي للاشياء فيقول - عز من قائل - : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد / ٨) ؛ اي ان الله حدد لكل نوع من الموجودات مجالا معينا في الحجم ، والكيفية ، والوزن ، واللون ، والقوة وما الى ذلك من الصفات ، وهذا هو التقدير الالهي للاشياء . ولذلك كان هذا العلم المغيب ، والتقدير المقدر من اختصاص بارئ الوجود وحسب ، لا يوازيه ولا يبلغ حده كائن في هاتين الخصيصتين (العلم و التقدير) ، ولذلك فانه وحده ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد / ٩) .

أشعة الايمان :

والمؤمن لا يعرف نفسه ، ولا يدرك ويبصر حقائق الطبيعة والكون وعموم الوجود الا اذا انعكست في قلبه اشعة الايمان ، وعرف شيئا من صفات الله واسمائه ، واقتبس قبسا من نوره ، والى هذا المعنى يشير القرآن الكريم في قوله : ﴿ سَوَآءٌ مِنكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَسَارِبُ بِالنَّهَارِ ﴾ (الرعد / ١٠) .

فقد يجتمع اثنان ثم يدخل الشيطان بينهما فيكون ثالثهما ، فيتحدثان بما تملي عليهما اهواؤهما من الغيبة والبهتان والافتراء على الابرياء بما ليس فيهم ، وينسيان او يغفلان عن ان الله – سبحانه – يسمع ويرى ما يدور بينهما ، وما يوسوس لهما الشيطان .

وفي هذا المجال يروى ان امرأة العزيز عندما راودت يوسف – عليه السلام – عن نفسه وطلبت منه ما طلبت ، فتشت عن استار غطت بها صنما كان في غرفتها ، فلما سألها يوسف عن ذلك قالت له : من العيب ان ارتكب الاثم امام

هذا الصنم ، فاستنكر يوسف – عليه السلام – قولها وقال لها : ترين فعلتك عيبا امام صنم لا يشعر ولا يبصر ولا يعقل ولا تجدينها عيبا امام الله – سبحانه وتعالى – ؟!

وللاسف هناك من أضحت نفوسهم ترتاح لسماع حديث الغيبة وما فيها من بهتان وافتراء غافلين عن ان الله – جل وعلا – معهم اينما كانوا يسمع ويرى بالاضافة الى علمه بما تخفيه الصدور ، وما ترتكبه الاعين من خيانة . فهذا الذي يتخذ الليل ستارا ، ويتسلل من مكان الى آخر أليس الله – تعالى – بعارف الى اين يذهب ، وماذا في نيته ان يفعل ، وكيف يفكر ، وماهو هدف تخطيطه وعمله ؟ فهل غفل هذا الانسان عن ان الله معه في كل سكناته ، وحركاته ، وانه انما يتحرك ، ويمشي ، ويأكل ، ويشرب ، وينام بحوله وقوته – تعالى – ، وحتى في مشيه فانه سخّر له من الملائكة من يحفظونه مما كتب من الاقدار المقدرة كما يقول – تعالى – :

﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ (الرعد / ١١)

وعلى هذا فان هناك مجموعة من الحقائق تذكرنا بها الآيات السابقة في السياق وهي ؛ الاحاطة الالهية ، والعلم الغيبي بنا منذ كنا نطفا في الارحام ، ثم تطورنا حتى صرنا اجنة وقدر لنا نوعنا الجنسي ، ثم احاطته – تعالى – بنا في الحياة منذ طفولتنا وصبانا حتى نغدو شبابا فرجالا او نساءا . وعلى طول هذه الرحلة الزمنية كنا محفوفين بمن يحفظنا من الاقدار التي لا تنفك تواجهنا بين الفينة والاخرى ، ثم ان الله – جلت قدرته – محيط بسرائرنا ، وخفايا انفسنا ، ويعلم ما تكنه صدورنا كما يشير الى هذه الحقيقة في قوله :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (غافر / ١٩)

ترى ما الهدف من ذلك ، ومن الذي يتولى مسؤولية ادراك هذه الحقائق ومعرفتها ؟

مسؤولية التغيير الكبرى :

القرآن الكريم نفسه يجيبنا على هذا التساؤل في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد / ١١) . وهنا يدق القرآن على وتر المسؤولية الحساس ، ويقلد الانسان الوسام الاعلى بتحميله مسؤولية التغيير الكبرى التي بها يتبدل وجه التاريخ الحضاري . فالله – سبحانه – كرم الانسان بأن اعطاه ، وسخر له كل ما في الكون والطبيعة ، وأوكل به من يحفظه من مخاطر الحياة واقدارها ، وعوارض الوجود ، وكل ذلك ان يتحمل هذا المخلوق المكرم المحفوظ المسؤولية ، ويأخذها على عاتقه ، وهذه هي الامانة الالهية المعنية في القرآن الكريم بقوله :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ﴾ (الاحزاب / ٧٢)

فهو – سبحانه – اعطى الانسان ، وسخر له كل شيء ، لكنه جعل مهمة التغيير من مسؤولية الانسان في الاطار الحضاري ، سواء كانت مسؤولية فردية أم جماعية . فاذا ما ارتكب خطأ ما ، او اقترف ذنبا ما ففسد بذلك واقعه ثم اراد ان يغير هذا الواقع ويصلحه بالتوبة ، والعمل الاصلاحي فان بامكانه ذلك ، ولا مفر له من الحساب والعقاب في هذه الدنيا او غدا في الآخرة ان هو أبى تغيير واقعه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفاســـد .

وهكذا فلا مفر للذي يرتكب اثما او جرما ما مـن نيـل العقـاب ان هـو لم يتـب ويصلح ما فسد من امره ، ويكفر عن جرمه وجريرته ، والا فـأين مـن الممكـن ان يهرب ؟ انه ان هرب من محكمة العباد في هذه الدنيـا فمـن ايـن لـه ان يهـرب مـن محكمة الله – سبحانه – الذي لابد ان يجازيه في هذه الدنيا أو في الآخرة ؟

عواقب التملص من المسؤولية :

وبعد ان يوضح الخـالق – جلـت قدرتـه – مسـؤولية التغيـير ، يحـذر مـن مغبـة وعواقب التنصل ان لم يعمل المجتمع بمسؤولياته : ﴿ **وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَـلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِن دُونِهِ مِن وَالٍ** ﴾ (الرعد / ١١)

ان الواقع المرير الذي عاشه ويعيشه المسلمون في هذه الوهلة الزمنية ، وكل هذه الآلام والمعاناة والمآسي التي نراها في العالم الاسلامي والمستفحلة في بعض بقاعه .. كل ذلك يعود الى التهرب والتنصل عما القي على عواتقنا من مسؤوليات ، سـواء كانت فردية ام جماعية . فلقد صار ديدننا – وللاسف الشديد – هو هذا التهـرب والتملص من حمل اعباء المسؤولية التغييرية الكبرى التي القاها الله – تعـالى – علـى عاتقنا .

وللاسف فان كل واحد منا يلقي بمسؤولية التقصـير في العمـل ، واداء الواجـب على صاحبه او جماعة غير جماعته ، او ربما يلقيها على اشياء وامور غريبة نبرر بهـا عجزنا وتقاعسنا الذي هو السبب الرئيس في تخلفنا وترديا الحضاري . فغدا أمرنـا كأمر البشرية في الجاهلية الاولى عندما كانوا يعزون اسباب انهيارهم الحضاري الى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطبيعة ، فراحوا يتشاءمون من كائنات وظواهر الطبيعة ، وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بـ (الطائر) في قوله : ﴿ **قَالُوا طَآئِرُكُم مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ** ﴾ (يس / ١٩) ، ولذلك فقد نزل عليهم القرآن الكريم ، ودعاهم الى تغيير واقعهم الفاسد مذكرا اياهم بسنة التغيير التي لا تقبل التبدل والتحويل والمتمثلة في قوله :

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ .

اهمية المسؤولية الجماعية :

والتركيز القرآني هنا هو حول المسؤولية الجماعية سواء كانت في اطار جماعة او شعب او امة . صحيح ان المسؤولية الفردية لها وقعها المؤثر في حركة التغيير ، الا ان المسؤولية الجماعية اكثر تأثيرا على حركة التغيير الحضاري ، لذلك جاءت دعوة القرآن الى التغيير على صعيد الجماعة والامة ، وهو ما عبر عنه بـ (القوم) .

ولعل حركة التغيير الحضاري لا تستمد إلا من النهوض الجماعي ، وتحمل الجمع (القوم) لمسؤوليتهم التاريخية في هذه الحركة ؛ اي ان كل فرد لابد ان يتحمل قسطه من عبئ هذه المسؤولية الكبرى . فهذا العبئ لا يقع على شخص ما دون الآخرين او حتى على جماعة ما دون الجماعات الأخرى في اطار الامة ؛ فالسفينة عندما تخرق فان جميع راكبيها سوف يتعرضون للغرق دون استثناء ، ولذلك فان كل شخص فيها مسؤول عن منع هذا الخرق ، واصلاحه في حال وقوعه ، واذا ما قام الجميع بمسؤولياتهم في ردمه ، نجت السفينة ، ونجوا هم ايضا ، لان كلنا راع وكلنا مسؤول عن رعيته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهكذا فاذا وقعت حوادث وكان بامكان فرد واحد ان يحول دون وقوع حادث ما فليعمل بمسؤوليته بمجرد احساسه به وبما يصدر من خطر في حال الاهمال . ومع ذلك فان هذا لا يعني الاهمال والتغاضي من قبل الآخرين ، بل لابد للجميع ان يكونوا مستعدين للتصدي لمثل هذه المسؤولية ، وان كانت حاجة التصدي حاجة كفائية من الممكن ان يسدها فرد او مجموعة افراد .

ان الله – سبحانه وتعالى – عندما أمرنا في كتابه بطاعته ، والدعوة اليه ، وان نعمل بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فانما اراد لنا جميعا ان نتحمل مسؤولياتنا في الحياة الاجتماعية ، ومردودات هذا التوجه المسؤول تعود بالنفع على الجميع ، وتحول دون انتشار مختلف الوان الفساد والانحراف الاجتماعي الذي اذا ما غض الطرف عنه فإنه سيستشري و يستفحل أمره ، ويصبح من الصعب – ان لم نقل من المستحيل – ازالته ، والقضاء عليه لاننا لم نتحمل المسؤولية الجماعية في التغيير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن

شمولية الرؤية لدى الانسان المؤمن

من صفات الانسان المؤمن شمولية الرؤيـة ومواجهـة غـرور الجهـل بينمـا الفـاقد للايمان تكون نظرة تجزيئية لانه يزعم انه عليم بكل شيء بسبب غروره الداخلـي . فاعتراف الانسان بجهله هي الخطوة الاولى نحو المعرفة .

ان شمولية الرؤية لدى الانسان المؤمن تؤثر علـى مختلـف ابعـاد حياتـه ، وتـؤدي دورا أساسيا في تطويرها حيث انها تلغـي التناقضـات الموهومـة بينهـا . بينمـا نجـد البعض يزعـم ان حياته هي كتلة من التناقضات بسبب رؤيته المحدودة ، فاذا انشـغل بعمل اجتماعي تراه يفقد القدرة في ادارة أسرته ، واذا اهتم بأسرته اهمل المسؤولية الاجتماعية ، واذا اهتم بالدنيا ترك الاخرة وبالعكس .

ونحن كمؤمنين نحمل رسالة الى الناس علينا ان لا ننشغل بالعمل الاجتماعي عن تزكية النفس ، ولا بتزكيـة النفـس عـن العمـل الاجتمـاعي ، بـل لنحـاول ان نقـر التوازن في حياتنا بين جميع الجوانب ، ونعطي لكل جانب حقه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذا المجال لابد ان نقول ان العمل الاجتماعي لايمكن ان ينفصل عن العمل السياسي ، فهذان العملان يتكاملان مع بعضهما ليكونا الحياة الفاضلة ، لان الانسان المؤمن لايرى بين هذين الجانبين اي تناقض مطلقا ، ولنا في هذا الصدد أسوة حسنة ، وقدوة صالحة بعلمائنا الاعلام فقد كانوا في نفس الوقت الذي يدرسون فيه الموضوعات الفقهية ، يتحدثون عن القضايا السياسية العالمية ، ويبعثون بالرسائل والخطابات الى المؤتمرات والرؤساء ، وفي ذات الوقت كانوا ينشغلون بالتعبد والتهجد ليلا ليستمدوا الروح والحيوية من خالقهم . فالانسان من دون الاتصال با لله - تعالى - ومن غير نوره يتحول الى موجود تافه ، فنراه يفقد الثقة بنفسه وينهار من الداخل ويكون مصداقا لقوله - عز وجل - : ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (الحشر / ١٩) فالانسان الذي ينسى ربه انما يحكم على نفسه بالانتحار المعنوي ، في حين ان الاتصال با لله والتوكل عليه والثقة به كل ذلك يجعل للحياة معنى ومضمونا .

نظرة هرمية :

وهكذا فان المؤمن يستقبل برحابة صدر وبقدر كبير من الحيوية كل حادثة تقع في حياته فتراه ايجابيا على طول الخط ، لان التناقض سينعدم من حياته ، ولانه يرى الحياة كلها في حالة هرمية متدرجة تقع معرفة ا لله - تبارك وتعالى - في قمتها .

ان هذه النظرة الهرمية التي يقع الايمان با لله والتسليم له في قمتها ، ثم تنحدر لتشمل العا لم كله سوف تؤدي الى ان يمتلك الانسان المؤمن رؤية تكاملية ، ولذلك فانه لايعاني من مشكلة التناقض بين الوسيلة والهدف ؛ فالوسيلة تبقى عنده جسرا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى الهدف ، ولايمكن ان تتحول في اي حال من الاحوال الى هدف بحد ذاته .

واذا ما تحولت الوسائل عند الانسان الى اهداف فحينئذ تظهر لديه حالة من الشرك تغزو قلبه ، ولابد ان يحذر منها ؛ وعلى سبيل المثال فانه اذا انتمى الى تنظيم ما فان عليه ان يحذر اشد الحذر من ان يحول هذا التنظيم - الذي هو وسيلة - الى هدف . وهكذا الحال بالنسبة الى الاعتبارات المادية الاخرى فانها كلها تبقى محترمة في حدود كونها وسيلة ، فاذا تحولت الى هدف فانها ستكون صنما يعبد من دون الله - تعالى - ، وهذه الصنمية هي التي تدفع المؤمنين الى ان يضرب بعضهم بعضا فتنشأ لديهم الحالة التي يشير اليها القرآن الكريم في قوله : ﴿ **وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً** ﴾ (الروم / ٣١-٣٢) .

الاختلاف شرك :

وبناء على ذلك فان هذه اختلافات ان دلت على شيء فانما تدل على النظريات الشركية والصنمية التي تتحجر على الوسائل ولا تنطلق نحو الهدف الاكبر ، وهذه الاختلافات هي التي تسبب تمزق الامة وبعث اسباب الشقاق فيها ، وقد لعن القرآن الكريم بصريح القول الاشخاص الذين يثيرون هذه الاختلافات ، وأمر نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يتبرأ منهم في قوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ (الانعام / ١٥٩) .

وفي مجال بعث روح التفاؤل والايجابية لدى الانسان لكي لايبتلى بالنظرات السلبية في الحياة التي تسبب حدوث الاختلافات بين ابناء الامة ، يقول - عز من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قائل - : ﴿ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الانعام / ١٦٠) ، فمن خلال هذه الاية يريد القرآن الكريم ان يذكرنا بان على الانسان ان لايبحث عن الكمال المطلق لان هذا الكمال مقتصر على الخالق - جل وعلا - ، ولاننا بشر فان السلبيات قد تطغى على حياتنا ، ولذلك فقد شرع الله - تعالى - قانون الاثابة على الحسنة بعشرة امثالها ، والمجازاة على السيئة بواحدة مثلها :﴿ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لايُظْلَمُونَ ﴾ (الانعام / ١٦٠) .

ثم يستأنف السياق القرآني الكريم مبينا الهدف النهائي الذي يسعى الانسان المؤمن من أجل تحقيقه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (الانعام / ١٦٢-١٦٣).

ان هذه الرؤية التي تزودنا بها هذه الاية الكريمة هي التي تعلمنا كيف نتعامل مع المجال الاجتماعي والسياسي والحركي ... فالانسان المؤمن بامكانه ان يقتبس من هذه الرؤية وهو يعمل في مجال الاجتماع او السياسة دون ان يشغله هذا العمل عن اهدافه الرئيسية ، وتنفيذ مخططه الستراتيجي الذي وضعه لنفسه .

فلنربط - اذن - الفروع بالاصول ، وفي هذه الحالة سنكون قريبين من الهدف دائما ؛ اي اننا سنخطو خطوات سريعة نحو الهدف الاكبر الا وهو تحرير عقولنا من التبعية والثقافات التبريرية والافكار اللامسؤولة كما سيكون بامكاننا دفع الجماهير المسلمة الى الامام وانشاء جيل يتصدى للجهل والتخلف والتبعية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

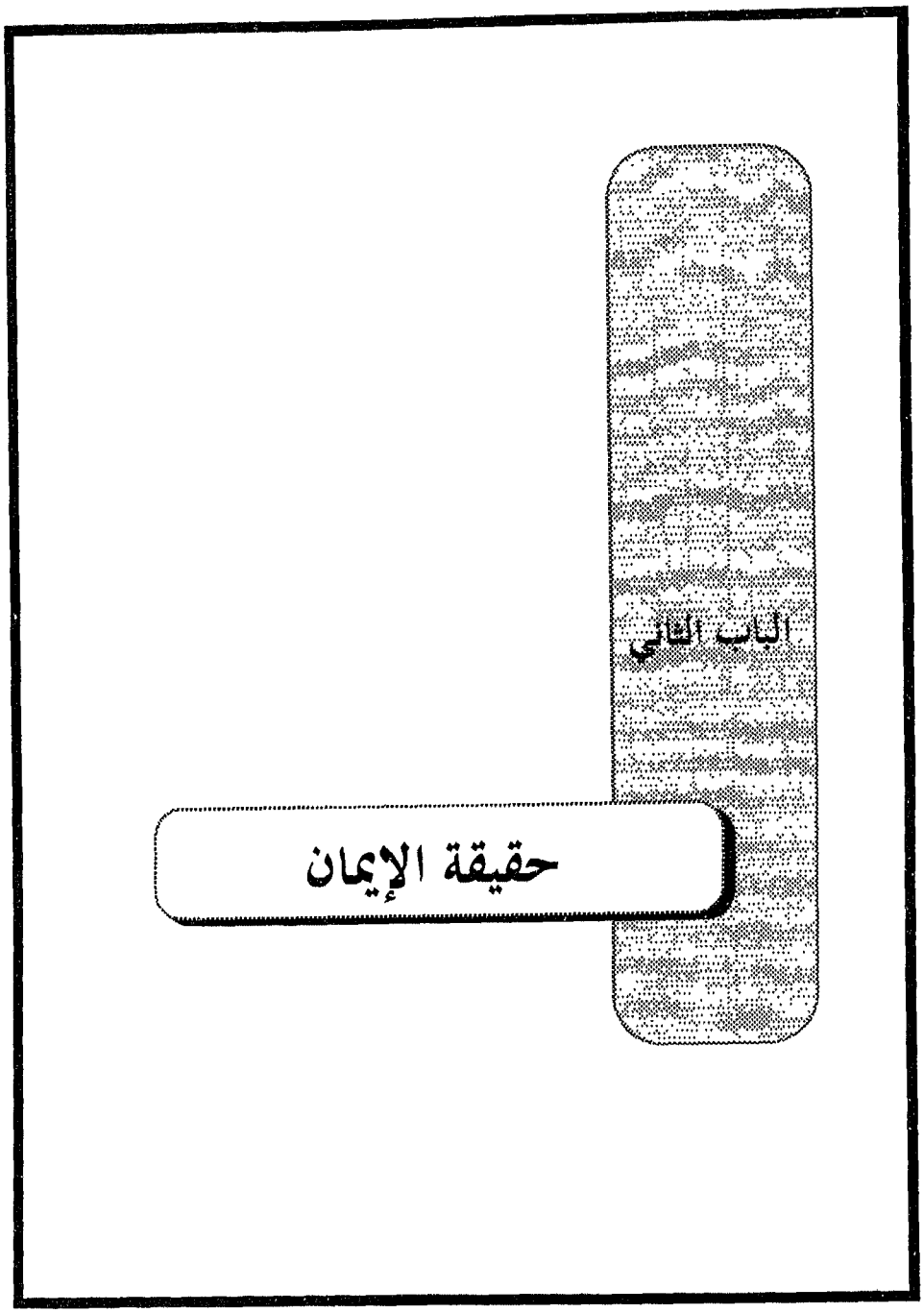

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

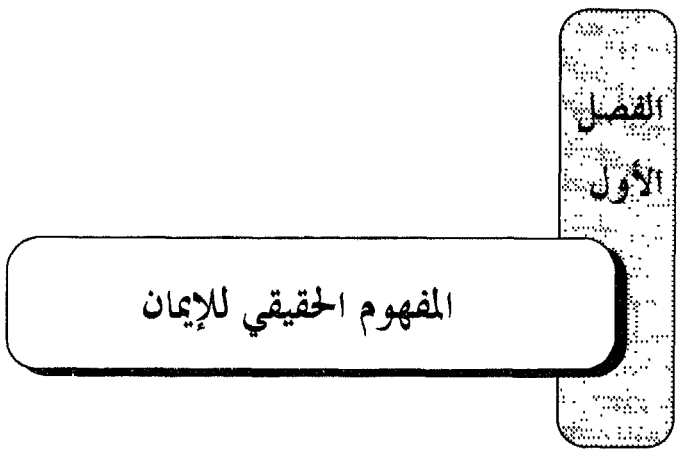

المفهوم الحقيقي للإيمان

سنتحدث عن شخصية ابراهيم (عليه السلام) الاب الروحي لرحلة الحج الالهية ، وامام الموحدين ، ومحطم اصنام المشركين ، هذا الرجل الذي بدأ مسيرة التوحيد لابد ان نتحدث عنه ، ونتعرف على قصته ، ونوجد علاقة روحية حميمة بيننا وبين شخصيته الكريمة .

ان ابراهيم (عليه السلام) ليس بعيدا عنا ، فهو ذلك الرجل الذي له الحق علينا بعد النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ، فاذا كنا اليوم نتجه الى الكعبة ، ونكبّر ، ونسعى من اجل تحطيم الاوثان ، والاصنام في نفوسنا ومجتمعاتنا فالفضل في ذلك يعود الى ابراهيم (عليه السلام) الذي كان اول شخص بادر الى ذلك .

والسؤال المطروح هنا : ما الذي ينبغي ان نفهمه من شخص ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، وكيف يتجلى هذا الشخص في آيات الذكر الحكيم ؟ وكيف يجب ان نجعله قدوة لنا ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سلبيات النظرة التجزيئية :

قبل كل شيء ارى من الضروري ان ابين حقيقة ان نظرتنا الى الاشياء هي نظرة تجزيئية ، فعندما تدخل على سبيل المثال في قاعة فانك توجه نظرك الى المقاعد والى سائر الاشياء الموجودة فيها ، وبعبارة اخرى الى جزئيات هذه القاعة ، ولكنك بحاجة الى ان تلقي نظرة كلية عامة الى ما في القاعة ، وهذه النظرة هي التي تمنحك القدرة على التفكير والتخطيط .

وهكذا لا يكفي ان ننظر الى الجزئيات ، وحتى اذا بقينا ننظر اليها لمدة طويلة فاننا لن نحصل على معرفة الحقيقة ، لان الجزئيات مرتبطة في النهاية باطار كلي واحد .

وهكذا الحال بالنسبة الى نظرتنا الى الايمان ، فنحن نعلم ان الانسان المؤمن يقوم بالواجبات الدينية ، ويجتنب المحرمات والنواهي ليشكل بمجموعه صفات ايجابية نعرفها عن الانسان المؤمن ، ولكن مشكلتنا اننا نجمد على هذه الجزئيات ؛ فنقول ان الصدق هو علامة الايمان وكذلك الحال بالنسبة الى الصلاة والصوم .

اننا نعرف كل ذلك لاننا تعودنا على ان ننظر الى الامور نظرة جزئية ، مقتصرة على المفردات والجوانب ، والابعاد المختلفة ، ولكننا لم نستطع ان نستلهم من مجموع الجزئيات تصورا كليا عن الحقيقة لاننا لم نفهم حقيقة الايمان .

ان الايمان روح ، وهو صفة كامنة في القلب ، ويتجلى عبر الصلاة والصيام والزكاة والحج وما الى ذلك من فرائض دينية ، وعلينا ان نعرف هذه الروح ، ونعبر من خلال تلك المفردات الى العمق . وعلى سبيل المثال فاذا رأينا في

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حديقة جزء من شجرة كبيرة وارفة ، ورأينا مرة ساقها ، ومرة جذورها ، ومرة اخرى ثمارها فان علينا ان نكوّن في انفسنا تصورا عاما ومشتركا عن هذه الشجرة ؛ فالثمار المتدلية من الاغصان بين الاوراق وعلى الساق ، وتحتها تلك الجذور لابد ان تكون في الذهن تصورا عاما .

وهكذا الحال بالنسبة الى الايمان ، فالقرآن الكريم في آيات شتى يطلب منا ان نفهم حقيقة الايمان لكي نبحث عنه في انفسنا ، فالصلاة - مثلا - ليست هي الايمان بل هي تعبير عنه ، فهو شيء آخر يجعلك تصلي ، وعلى ضوء هذه الحقيقة فانني اذا صليت ولكني لم اجاهد في سبيل الله ، او صليت وجاهدت في سبيل الله - تعالى - ولكن لم اطع القيادة التي امر الله باطاعتها ، فاني في هذه الحالة لا اعد مؤمنا ، لان الايمان لا يتجزأ بل هو شيء واحد وكتلة واحدة لا يمكن ان تتجزأ .

فقد اصلي لانني متعود على الصلاة ، وقد اذهب الى القتال ولكن بحثا عن الشهرة ، وقد ادعو الناس الى الصلاح فأسجن واعتقل ولكن ليس انطلاقا من الايمان وانما بدوافع اخرى ، فاذا كنت مؤمنا في الصلاة ، والحج ، والزكاة وفي كل جوانب حياتي فان كل هذه الممارسات انما هي تعبير عن تلك الروح الموجودة في داخل قلبي .

المثال الحقيقي للايمان :

واذا ما راجعنا الايات القرآنية المتعلقة بأبراهيم (عليه السلام) نرى ان القرآن الكريم بعد ان يبين لنا عمل ابراهيم وابنه اسماعيل (عليه السلام) يقرر ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابـراهيم كـان من عباده المؤمنين ، وكأنه – تعالى – يريـد ان يفهمنـا مـن خـلال هذه الواقعة حقيقة الايمان من خلال بيان مثله وانموذجه .

ان هذا الانموذج يتمثل في شـخص واحـد تحدى مجتمعا فاســـدا بأجمعه ، فمـن الصعب عليك ان تخالف انسـانا واحدا في فكرة وخصوصـا اذا كـان بينـك وبينـه احترام متبادل كأن يكون المربي والكافل لك وكنت تعيش في بيتـه ومـن نعـمته وفضله ، كـما كـان الحال بالنسـبة الى ابـراهيم (عليـه السـلام) مـع ابيـه (آزر) الذي كان في الحقيقة عمه بالنسب ، واباه بالتبني .

لـقد خالـف ابراهيم (عليه السـلام) المجتـمع كلـه ، وبـحث عـن طـريـقـة لصـرفهم عـن نفسـه ، والتـحايـل عليهم مـن خـلال العمل السـري كـما يـروي لـنا ذلـك الـقـرآن الـكـريم في قـولـه – تـعـالـى – : ﴿ **فَنَظَرَ نَظْـرَةً فِـي النُّجُـومِ * فَقَـالَ إِنِّـي سَـقِيمٌ** ﴾ (الصافات / ٨٨-٨٩) وذلـك مـن خـلال تظـاهره بالمرض ، وربمـا اراد ابراهيـم (عليـه السـلام) ان يقـول لهـم انـه مريـض حسـب ترهاتهم ، وما يدعونه من العلم بالنجوم ، فالمقصود من السـقم هنـا هـو الجهـل ، فحسب نظرتهم فـان ابراهيـم لم يكـن سـقيما في ذلـك الوقـت ، ولكنـه سيصبح كذلك ، ولذلك فقد اذعنوا لكلامه .

ومع كل ذلك فقد خرج ابراهيم في يوم العيد متوكلا على الله – تعـالى – ، ثـم اخذ بيده المعول وكسر الاصنام ، ثم استهزأ منهم بان وضع المعول على رأس كبير الاصنـام وسـؤاله ايـاهـم : اسـألوهـم ان كـانوا ينطقـون ، فتحداهـم بالاسـتهزاء ، ومقاومة كل جبروتهم ، وكأنه كان يعمل مسندا بجيش جبار في حين انه كان فتى لم يتجاوز سن الحلم الا بقليل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ايمان التحدي :

ترى ما الذي يريد ان يقوله لنا القرآن الكريم من خلال هذه القصة ؟ ، انه يريد ان يمنحك ايها الفتى ، وايتها الفتاة المسلمة الثقة بالنفس ، وحقيقة الايمان الذي يدفع صاحبه الى التحدي ، ومقارعة الطغاة دون ان يخشى في الله لومة لائم ، فنحن نجد من حولنا المفاسد ، والانحرافات والواجب علينا ان نقف ضدها وضد من يشيعها.

ومن اجل القضاء على الانحراف في مجتمعاتنا فاننا بحاجة الى انسان مستعد لان يضحي بنفسه في سبيل ايقاف هذا الانحراف ، فقد نجد الالاف المؤلفة من الناس يغمرهم الانحراف ، وهنا تجد نفسك بحاجة الى ان تقف وحدك لتقاوم هذا الانحراف وان كلفك ذلك التضحية بنفسك الا انك بالتالي ستوقف هذا الانحراف او تؤخر وتعرقل على الاقل مسيرة الفساد والانحراف في المجتمع .

وفي الحقيقة فان هذه هي روح الايمان ، والله - تعالى - يريد ان يبين لنا ان ابراهيم (عليه السلام) كان من عباده المؤمنين لانه كان يتمتع بهذه الروح الكبيرة ، والثقة العظيمة ، وذلك التوكل المطلق على الله - عز وجل- .

ولننظر ايضا الى الموقف الذي بدر من اسماعيل (عليه السلام) عندما قال له ابوه : ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ** ﴾ (الصافات / ١٠٢) ففي بعض الاحيان يكون المنام هو وسيلة الوحي للانبياء (عليهم السلام) لانهم معصومون ، ولكي يمتحن الله - تعالى - ايمان الابن الشاب ، كما امتحن من قبل اباه عندما قاوم الشرك وهو ما يزال في ريعان الشباب ، فما كان من الابن الا ان قال دون اي تردد : ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ..** ﴾ (الصافات / ١٠٢) ، فلم يقل لابيه ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مارآه هو مجرد اضغاث احلام ، ولم يقل : اني مستعد للقتل والذبح شريطة ان تسأل عن تعبير رؤياك بل قال له على الفور :﴿ **يَآ أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ (الصافات / ١٠٢)

وهذا هو الايمان الحقيقي ، ففي يوم يتجلى هذا الايمان في مقاومة المجتمع الفاسد ، وفي يوم اخر يتجسد في الخضوع للقيادة الرسالية والامتثال لاوامرها ، فأسماعيل (عليه السلام) كان يعرف ان اباه نبي فكان يمتثل لاوامره من هذا المنطلق لا لانه والده .

ان الايمان هو التحدي ، والتسليم والرضا ، ويضرب القرآن الكريم مثلين للايمان من خلال تحدي ابراهيم ، وتسليم اسماعيل ، فلا يوجد هناك اي فرق بين هذين الايمانين .

الروح الحقيقية للايمان :

ونحن في ايام الحج من كل سنة نعيش ايام ابراهيم الخليل (عليه السلام) ، وبعبارة اخرى ؛ ايام التمثل بشخصية هذا النبي العظيم ، فلابد ان نبحث عن تلك الحقيقة في انفسنا ، وان لا نكتفي بالجزئيات والمظاهر ، فمن الممكن – على سبيل المثال – ان تكون الصلاة بالنسبة اليك عادة خيرة ، ولكن هذه الصلاة ليست كل الايمان ، بل ان الايمان يتجلى عندما تخالف عاداتك .

ومن الممكن ايضا ان تكون قد عشت في بيت مؤمن ، ولكنك لم تتعرض لامتحانات صعبة ، فمثل هذه الحياة لا تدل على الايمان ، بل انه يتجسد عندما تتعرض للامتحانات ، وعندما تخالف شهواتك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا يجب علينا ان نبحث عن الروح الحقيقة للايمان ، لننميها في انفسنا ، لكي نقاوم ضغوط الشيطان ، وسلبيات النفس الامارة بالسوء وذلك من خلال التعمق في قصة ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) بل وقصة كل الشخصيات الرسالية التي قاومت الضغوط وتحدتها .

ان الايمان يتجلى في يوم صمودك وتحديك للاغراء ، لان تحدي الاغراء اصعب بكثير من تلقي العذاب في قعر السجون ، فهناك الكثير من الناس كانوا يعانون العذاب في السجون ولكنهم اصبحوا فيما بعد وزراء واعوانا للحكام الظالمين ، فتحملوا السجن ، ولكنهم لم يتحدوا الاغراء .

ان هذه الدروس والعبر هي التي يجب ان نستلهمها من قصة ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام) ، ومن حياة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) والائمة (عليهم السلام) ، فعلينا ان نعرف ما وراء سلوكهم وسيرتهم ، ونستغل معرفتنا هذه في طريق قيامنا بمهامنا الرسالية ثم نبحث على ضوء ذلك عن حقيقة الايمان في نفوسنا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

الايمان حقيقته وشروطه

عندما يفسد قلب الانسان ، وتتزعزع روح الايمان الحق في نفسه ، فان فراغا هائلا سوف يحس به يتمثل في الشعور العميق بالخوف ، والقلق ، والضيق ، فاذا بهذا الانسان يخاف من المستقبل ، ويخشى الموت ، ويتهيب المجهول ، فان حصل على شيء فانه يقلق ويضطرب لكي لا يفقده ، وان لم يحصل عليه بحث عنه عسى ان تكون فيه النجاة ، والسعادة ، والفلاح .

عندما يغيب الايمان :

ان هذا الفراغ الكبير الذي يشعر به قلب الانسان الفاقد للايمان يدفعه الى البحث عن إله ، ويدفعه كذلك نحو الحرص ، وقد ورد في الروايات ان ابن آدم يشيب وتشيب معه خصلتان ؛ الحرص ، وطول الأمل ؛ فحتى قبيل وفاته تراه يبحث عن دينار اكثر ، لان المال الذي يحصل عليه يتحول بالنسبة اليه الى وبال ، فهو يبحث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن طريقة يحافظ بها على هذا المال فيزداد خوفا بدل من ان يعطيه الغنى الأمن ، ويجري وراء السلطة عسى ان تمنحه شيئا من الراحة والاطمئنان .

ان هذا هو حال القلب الذي يفقد الايمان ، ولذلك نرى فرعون عندما اراد ان يحاج موسى (عليه السلام) قال له : ﴿ **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي** ﴾ . (الزخرف / ٥١)

فقد اتكأ على امواله وملكه ليدعي انه اله ، وهذا ما يكشف عن طبيعته المفرغة من الايمان با لله ، والاعتماد على النفس ، وهذه هي حالة الكفر الصريحة .

ومع ذلك فان هناك حالة اخرى هي حالة الكفر المبطن ، والايات التالية من سورة (التوبة) ربما تعالج هذه الحالة في النفس البشرية ؛ اي حالة النفاق والشرك الخفي ، وفي المقابل فاننا اذا شعرنا بقوة الايمان في نفوسنا واحسسنا بالاطمئنان والسكينة ، فاننا سوف لن نبحث عن السلطة لان الايمان اشد قوة منها ، وهكذا الحال بالنسبة الى سائر المظاهر الدنيوية الاخرى ، وحنيئذ نكون قد بلغنا مرحلة من مراحل الايمان الحق الذي هو الايمان المستقر ، والا فان هذا الايمان سيكون مستودعا لاننا اوتيناه لفترة معينة ثم يستعاد بعد ذلك منا قبيل الموت .

وقد يكون (العلم) هو الشيء الاخر الذي يبحث عنه الانسان ، ونقصد به العلم الذي يقول - تعالى - عن اصحابه : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً** ﴾ (الجمعة / ٥) ، فهذا العلم يتحول الى هدف بعد ان كان وسيلة ، وهو ذريعة يتذرع بها الانسان للتهرب من مسؤوليات الايمان ، والجهاد في سبيل ا لله ، فهناك من يبحث عن كتاب يطالعه لكي يهرب من الدخول في ساحات الجهاد ، ويجلس في زاوية ولسان حاله يقول : ما أحسن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزوايا والخبايا عندما يهرب اليها الانسان من مواجهة مشاكل المجتمع .

الايمان يعني التسليم :

ان مطالعة الكتاب لا يمكن ان يتحول الى ايمان ، فالايمان يعني التسليم المطلق لله - سبحانه وتعالى - ، وهذا الايمان قد يتجسد في يوم من الايام بطلب العلم ، وفي احيان اخرى في طلب الرزق ، او حمل السلاح ضد الاعداء .

ان الايات القرآنية تصور الانسان الفاقد للايمان برجل ألقي من السماء الى الارض فأما ان يتخطفه الطير ، او تهوي به الريح في مكان سحيق . وفي مواضع اخرى يشبه القرآن الكريم الانسان الذي يفقد الايمان بالذي يجعل الله قلبه ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء .

واذا ما كان احدنا في صحراء واسعة ، وكان الظلام يسود هذه الصحراء بحيث لا يرى شيئا ، فانه سيعيش الظلام المطلق ، وفي نفس الوقت الضيق المطلق ، اما اذا اشرقت الارض وأضيئت فحينئذ سيعيش في رحاب الحقائق .

وهكذا الحال بالنسبة الى الايمان عندما يسلب من الانسان فانه سيعيش حالة البحث عن عمل سهل يعوض به عن العمل الحقيقي الذي هو الايمان كمن يبني مسجدا ليغطي به على اكله للمال الحرام وانتماءاته وولاءاته الغير مشروعة . فبدلا من ان يحصل على الثواب ، يتحول بناء المسجد بالنسبة اليه وسيلة للفرار من الايمان لا لجوء اليه . وفي هذا المجال يقول القرآن الكريم : ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ** ﴾ (التوبة / ١٧) ؛ فالمشرك الذي يرى ان هناك الها غير الله يعبد في الارض او السماء لا ينبغي له ان يعمر المسجد لانه سيشهد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على نفسه بالكفر ، وهذا ما يشير اليه – عز وجل – في قوله بعد الاية السابقة : ﴿ ... شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ ﴾ (التوبة / ١٧-١٨) .

اننا في كثير من الاوقات نمني انفسنا بالايمان ، في حين انه ليس بالتمني بل يحتاج الى سكينة ووقار ، وان لا يخاف الانسان لومة لائم ، ولا بطشا من سلطة .

وهكذا فاننا – للاسف – نلجأ الى بعض الاعمال القشرية فرارا من العمل الحقيقي ، وكل واحد منا معرض لهذه المشكلة ، فالانسان الذي يضخم الشيء الصغير ، ويبحث عن القشور انما يعوض بذلك عن حالة انعدام المسؤولية في نفسه ، وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم في قوله عن المؤمن الحقيقي :﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ ﴾ (التوبة / ١٨) .

ثم يقول تعالى : ﴿ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة / ١٨) ، وفي نهاية الايات التي اشرنا اليها في سورة التوبة جاءت ايضا كلمة (الهداية) ، فلنحاول ان نربط بينها وبين تلك .

المقياس الحقيقي للايمان :

بعد ذلك يقدم لنا السياق الكريم المقياس الحقيقي للايمان في قوله : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ ﴾ (التوبة / ١٩) ، والملاحظ هنا ان الله – عز وجل – جعل في الايات السابقة (الخشية من الله فقط) هو مقياس الايمان ، وهنا يجعل هذا المقياس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الجهاد في سبيله) ؛ فقد يدعي الانسان انه مؤمن ، مقيم للصلاة ، ومعمر للمساجد ، ولكنه لا يجاهد في سبيل الله ، ومثل هذا المنطق يرفضه القرآن الكريم ، فالجهاد في سبيل الله شيء ، والعمل شيء اخر ، فالاخير قد يدل على الايمان ، وقد لايدل عليه ، اما الجهاد فانه دليل وعلامة الايمان التي لا تقبل الشك لان الانسان غير المؤمن لا يمكن ان يجاهد كما يشير الى ذلك قوله - تعالى - : ﴿ لاَيَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة / ١٩)، ومن الملاحظ ان القرآن يقول في الاية السابقة : ﴿ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ وهنا يقول : ﴿ لاَيَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ وبناء على ذلك فان الذي لا يعمل بالجهاد الحق ليس بمؤمن ، وليس بمهتد .

والانفاق في الاسلام لا يشمل الاموال فحسب بل يجب ان يتعداه الى النفس كما يقول - عز وجل - : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ (التوبة / ٢٠) ، فهناك من الناس من يبذل امواله ولكنه ليس مستعدا ابدا للتضحية بنفسه في حين ان القرآن الكريم يصرح بأن الذي يجمع بين هذين الانفاقين ؛ انفاق المال ، وانفاق النفس هو الذي سيفوز بالدرجات العلى عند الله تعالى : ﴿ ... أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴾ (التوبة / ٢٠) .

فالفائز ليس من يطعم الحجيج او يسقيهم ، ولا من يعمر المساجد ، بل هو الذي يجاهد بماله ونفسه ، وهذا الانسان يبشره الله بالرحمة والرضوان ، والجنات : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة / ٢١) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صحيح ان عملية الجهاد تعتبر من العمليات الصعبة على النفس الانسانية ولكن جزاءها في المقابل سيكون عظيما جدا ، وهذا الجزاء مؤلف من الرحمة ، والرضوان ، والخلود في الجنان : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (التوبة / ٢٢) .

لا مجاملة في الايمان :

اما المقياس الثالث والاخير فهو القدرة على جعل النفس بمنجاة من تأثير العلاقات الاجتماعية في لحظة الصفاء الروحي وهذا ما يشير اليه - عز وجل - في قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاتَتَّخِذُوا ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (التوبة / ٢٣) ، وهنا يؤكد - تعالى - على ان الاباء ، والاخوان وكل من نرتبط به بعلاقة قرابة كالزوجة ، والابناء ، والعشيرة انما هم جزء من العلاقات الاجتماعية التي من الممكن ان تتحول الى حجاب بين الانسان، وبين الايمان الحق .

وهنا بالاضافة الى ذلك الاموال التي قد تقف هي الاخرى حائلا بين الانسان وربه : ﴿ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم ﴾ (التوبة / ٢٤) ، فالانسان الكافر يحب المال ، ولا يضمر الحب لله - جل شأنه - اما المنافق فانه يخلط في قلبه بين حب الله ، وحب المادة ، مفضلا الحب الاخير على الاول وهذه هي المشكلة ، والانسان معرض للفتنة والامتحان في هذا المجال فان خيّر بين الجهاد في سبيل الله - تعالى - وبين البقاء مع امواله ثم اختار البقاء فان هذا يعني ان امواله احب اليه من الله ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفي هذه الحالة يحذر الخالق – عز وجل – مثل هذا المجتمع المتقاعس ، الملتصق بالماديات قائلا : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة / ٢٤) .

الجهاد منبع الايمان :

وهكذا فان الايمان الحق لا يمكن ان نحصل عليه من الكتب ، او الاموال ، او السلطة ، بل ان منبعه الاول والاخير هو الجهاد في سبيل الله – جلت قدرته – وعدم خشية احد سواه ، وجعل العلاقات كلها ؛ العلاقة بالمال ، والاولاد ، والعشيرة ، وبكل شيء تحت مظلة العلاقة بالله .

ان كل واحد منا يمني نفسه بأن يكون مؤمنا خالصا طاهرا زكيا ، ولكن الذين يحصلون على الهداية هم القلة ، فلنحاول ان نكون منهم : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور ﴾ (سبأ / ١٣) ؛ اي من المؤمنين المجاهدين ، الشاكرين لله نعمه وآلائه ، والمستعدين لان يضحوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله ، فهذه هي الدرجة العليا من الايمان الذي نصبو اليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثالث

شروط الايمان

من الحجب التي تحجب الانسان عن وعي القرآن ، واستيعاب حقائقه ، والارتفاع الى مستوى بصائره ، حجاب (التبعيض) . فهناك قسم من الناس اذا جاءهم ما يوافق اهواءهم وشهواتهم اخذوا به ، واذا عرض عليهم ما يخالف هذه الاهواء والشهوات تركوه ، وهؤلاء لايؤمنون بالحق ، ولايدورون معه اينما دار ، بل يؤمنون بأهوائهم فانى دارت وسارت داروا معها وساروا اليها ، وهؤلاء لايمكن ان نطلق عليهم صفة الايمان لان الانسان المؤمن لايفرق بين حق وآخر ، ولانه يؤمن بالحق فانه يبحث عنه ، ولانه يبحث عنه فان الله - تعالى - يهديه اليه ، كما يشير الى ذلك القرآن الكريم في قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا** ﴾ (العنكبوت / ٦٩)

فليس كل انسان يهتدي بل يهتدي من اراد وسعى وكان اهلا للهداية ، واما من اراد ان يهتدي لمجرد اللعب ، او ان يشبع طموحه العلمي فان مثل هذا الانسان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لن يصل الى الهداية ، بل ان الله - سبحانه - سيضله عن الطريق ، ويمنع عنه سبل الهداية ، ويمده في غيه الى يوم القيامة ، كما يقول - عز من قائل - : ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ (الاسراء / ٧٢) وهؤلاء يقولون يوم القيامة :﴿ **رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً** ﴾ (طه / ١٢٥) فيأتيهم الجواب من البارئ - عز وجل - : ﴿ **كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى** ﴾ (طه / ١٢٦)

الهداية أعظم نعمة :

والهداية هي افضل واعظم نعمة اذا اراد الانسان ان يطبق الحقيقة التي يهتدي اليها . فالذي يصلي دون ان يأخذ بنظر الاعتبار هذه النعمة ، لايمكنه ان يعرف احكام الصلاة وهو ان عرف عنها شيئا فهو شيء ظاهر ، ولكنه غافل عن حقيقتها ، ومن هنا يجب علينا ان نتلقى القرآن الكريم على اساس الايمان به كله لا على اساس التبعيض ؛ فآية تعجبنا وتنسجم مع مصالحنا واهوائنا ، واخرى لانؤيدها لانها تخالف هذه المصالح والاهواء ، فعندما يكون هوى الانسان في اتجاه معين فانه سوف لايرى الا هذا الاتجاه ، اما الانسان المؤمن حقا فيقول :﴿ **ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ (آل عمران / ٧) فهو يتلقى القرآن بصدر رحب ، وقلب متفتح ، ونفس مطمئنة ، فلا يأخذ بجزء منه دون الآخر .

ان ما مضى كان مقدمة وتمهيدا لبيان حقيقة ان الاسلام ليس مجرد صلاة وزكاة . ففيه احكام وفروع اخرى ، وهنا نعود الى القرآن ؛ هذا الحبل الموصل بين السماء والارض لنجد الجواب في سورة المائدة حيث خلاصة التعاليم التي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحتاج اليها المجتمعات البشرية ، علما ان كلمة (المائدة) تعني الحضارة ، والمدنية ، لان التقدم والرفاه والسعادة والفلاح كل ذلك يدور حول مائدة السماء . فالمائدة لاتعني مجرد الطعام بل الاجتماع حول الخير والبركة ، فهي سورة الحضارة الانسانية ، والحضارة الالهية التي ترعاها السماء باحكامها ، وقيمها ، وتعاليمها .

والقرآن الكريم يحدثنا في هذه السورة حول واجبات المؤمنين ، وا لله - عز وجل - يقول في بداية هذه الايات المباركة :﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ (المائدة / ٨) . وهذا يعني ان ما يأتي بعد هذا الخطاب هو من شروط الايمان ، وان الانسان الذي لايطبق هذا الشرط لايدخل ضمن دائرة الايمان ، وكلمة (القوام) هي صيغة مبالغة لـ (القيام) ، ولذلك فاننا نطلق هذه الصفة على العباد الزهاد الذين يقضون الليل بالصلاة ، ويصومون النهار ؛ اي ان هذه الصفة يجب ان تكون صفة دائمة وملازمة لكم ايها المخاطبون .

معنى القيام لله :

والقيام لله يعني ان نعمل له - سبحانه وتعالى - لان الانسان يقوم عندما يتحرك ، فالقيام يعني ان ينشط الانسان ويتحرك ، وعندما نقول " اقامة الصلاة " فهذا يستلزم ان نجعل الصلاة قائمة وكاملة .

والمؤمنون قوامون لله - سبحانه وتعالى - ، فهم لايعرفون الجلوس والكسل في حياتهم بل هم ممتلئون حركة ونشاطا وهمة في سبيل ا لله ، ومصطلح (القيام لله) يصدق على كل انسان يقوم بعمل في سبيل ا لله ، ولكن القيام له درجات ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والدرجة العليا منه اقامة القسط بحيث ان الامام العادل الذي يعدل في الرعية ، فلا يدع الناس بظلم بعضهم بعضا ، ولايدع في المجتمع منكرا الا وهدمه ، ولا معروفا الا اقامه ، هذا الامام العادل اذا نام ليلة واحدة فان نومه افضل من عبادة سنة كما يصرح بذلك الحديث الشريف .

الشهادة بالقسط :

ثم يقول – تعالى – :﴿ **شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ** ﴾ (المائدة / ٨) وهذه صفة اخرى ؛ وهي اقامة العدل في المجتمع ، اي ان يكون الانسان عدوا للظالم فيقف ضده ، ومدافعا عن المظلوم اينما وجده كما يقول امير المؤمنين (عليه السلام) مخاطبا الحسنين عليهما السلام ومن ورائهما كل المؤمنين الى يوم القيامة : " كونا للظالم خصما وللمظلوم عونا " وهذه هي وصيته (عليه السلام) في اللحظات الاخيرة من حياته .

اما الصفة الثالثة فتتمثل في قوله – سبحانه – : ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى اَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة / ٨) ، فاذا ما وصلنا الى مراكز حساسة فلنحاول ان نقيم العدالة ، وان نشهد بالقسط ولو على انفسنا ، ونحن اذا درسنا هذه التعاليم فاننا سندرك ان الله – عز وجل – الذي يأمرنا بالصلاة قائلا : ﴿ **أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً** ﴾ (الاسراء / ٧٨) يأمرنا باقامة العدل في المجتمع قائلا : ﴿ **يَـآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ** ﴾ (المائدة / ٨)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا ما اخذ المجتمع المسلم القرآن بكل تفاصيله فلا يختار آية دون اخرى ، بل يلتزم بجميعها ، ويجعلها برنامج في حياته ، فان الكثير من المشاكل التي يعاني منها مجتمعنا الان سوف تحل .

وهكذا فان الخطوة الاولى نحو الاصلاح تبدأ من المجتمع ، لان كل فرد فيه يقوم بدور ، وفي كثير من الاحيان تبدأ المشاريع الخيرية على شكل اعمال محدودة ومتواضعة ، ولكن الله - عز وجل - سرعان ما يبارك فيها ، واذا بعشرات الآلاف من البشر ينعمون بفضل هذه المشاريع ، فما كان لله ينمو .

هذا في الجانب الاجتماعي ، اما في جانب العدالة واقامتها ، فان المجتمع الذي يطبق هذه الكلمة الالهية﴿ شُهَدَآءَ بِالْقِسْطِ ﴾ (المائدة / ٨) لايمكن ان ينتشر فيه الظلم ، فالانسان الظالم لايصبح جبارا في الارض بشكل مباشر ، فهو - في البداية - يبدأ بظلم عائلته ، وجيرانه ، وشريكه واذا ما بادر المجتمع الى الاخذ على يده فان دائرة هذا الظلم سوف لاتتسع ، ولاتصل الى الآخرين .

ونحن يجب ان نربي مجتمعنا على اساس الشهادة بالقسط ، واقامة العدل ، وبالطبع فان الانسان يعتقد ان محاولته لاقامة العدل سوف تؤدي الى تعرضه للمضايقة ، ومخالفة المجتمع له ، في حين ان هذا التصور مغلوط كما يصرح بذلك قول الامام علي (عليه السلام) : " الا وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايقربان اجلا ولا يقطعان رزقا " .

فليدافع كل واحد منا عن قيمه واصالته فنحن لم نأت الى هذه الدنيا لننغمس في ملاذها بل لنحقق رسالة فيها ، فمن القبيح ان نرى شخصا مظلوما ثم نسكت ، فالانسان يجب ان يكون شاهدا بالقسط ، وعندما تنمو هذه الصفة في المجتمع ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفة القسط والعدالة والدفاع عن المظلوم ، فان العدالة سوف تسود هذا المجتمع في كل جوانبه .

وللاسف فان الاسلام الحقيقي قد انحسر عن المجتمع ، والاسلام الموجود هو اسلام موجز قد اقتطعنا مجموعة من احكامه حسب اهوائنا ، وبحيث لايضر بمصالحنا . اما الاسلام الذي يتضمنه القرآن فهو لا وجود له بيننا وان كان له وجود فهو اسلام مختار على معيار الهوى في حين انه كل لايتجزأ .

تطبيق القرآن ضمانة النهوض :

ونحن اذا اردنا ان نعيد للاسلام مجده فلابد ان نطبق القرآن كله، لا ان نغيره ، ونبدله حسب اهوائنا ، فخطاب ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ (المائدة / ٨) موجه الينا نحن الذين ندعي الايمان ، وان علينا ان نفكر في كيفية تطبيقه والا فلنسأل الفقيه الشرعي ، ومن هنا اؤكد ان من واجب كل انسان مؤمن يريد ان تكون عاقبته على خير ان يراجع فقيها يسأله عن كيفية تطبيق هذه الايات الكريمة على نفسه ، ثم يبادر بعد ذلك الى الانتماء الى هيئة ، او تجمع ، او مؤسسة خيرية ، فلا يجوز لنا ان ندعي الايمان ثم لانجسده بعمل في سبيل الله تعالى تطبيقا لقوله : ﴿ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ ﴾ (المائدة / ٨)

والمهم في كل ذلك ان ننضم الى اي مشروع خيري ، وان لانثير الاشكاليات حول هذا التجمع او ذاك فالشيطان يحاول ان يزرع الوساوس في قلوبنا ليصدنا عن عمل الخير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عناصر الايمان الرئيسية

قال الله – تعالى – :﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الانفال / ٢) .

يحدثنا القرآن الكريم في هذه الآية عن ثلاثة عناصر رئيسية للايمان ومعطيين من معطياته فأما العناصر الرئيسية فهي : الوجل ، وزيادة الايمان من خلال تلاوة الايات القرآنية ، والتوكل ، واما المعطيات فهما الصلاة ، والانفاق من الرزق .

والوجل يمثل – كما نفهم من الايات القرآنية – حالة نفسية تضطرب النفس فيها ، وتدعو الانسان الى ان يمضي بعمله الصالح قدما الى الامام ، وقد عبر الامام علي (عليه السلام) عن هذه الحقيقة في قوله : " قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن " ، وقوله (عليه السلام) ايضا : " المؤمن من اذا وزن يأسه ورجاؤه لا يرجح احدهما على الاخر" .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حقيقة الوجل :

ومع ذلك فان هذا التبسيط لا يكفينا لمعرفة حقيقة مفهوم (الوجل) ، ومن اجل معرفة ذلك علينا ان نعلم ان الانسان المؤمن يختلف عن المنافق او الكافر اختلافا جذريا في نوعية تلقيه للاحداث ، ذلك لان كل انسان في الحياة لابد ان يبدي ردود افعال امام الاحداث التي تقع حوله والتي يستقبلها الانسان بقلبه ، او من خلال جوارحه ، فيظهر ردود فعل معينة امامها .

والبعض من الناس تكون ردود افعالهم متسمة بالسلبية ، والانطواء ، والبعض بالايجابية المطلقة والشجاعة ، والبعض الاخر بالتهور وعدم التخطيط ، والفوضى ، وهذه الاقسام الثلاثة ربما تضاف اليها اقسام اخرى من ردود فعل الانسان تجاه الاحداث .

مجرد امتحانات :

والمؤمن – كما قلنا – يختلف عن غيره في نوعية ردود الفعل التي يبديها ازاء الاحداث ، وهذا هو الفارق الاساسي بين الانسان المؤمن وغيره ، وعلى سبيل المثال فان المؤمن يعتبر الاحداث السلبية في حياته مجرد امتحانات تدفع به الى الصمود والصبر ، ويرى الاحداث الايجابية في حياته على انها امتحانات ايضا مصاغة بشكل نعم ان هذه النوعية من تلقي الاحداث تدفع بالانسان المؤمن الى العمل والحركة في جميع الاحوال سواء كانت الاحداث التي يواجهها سلبية ام ايجابية ؛ فهو عامل عندما يصاب بمصيبة ، وعامل ايضا حينما تسبغ عليه نعمة ، فالعمل هو العمل ، والصمود هو الصمود، والشخصية هي الشخصية مهما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اختلفت الاحداث . في حين ان الانسان المنافق يرى في الحدث السلبي يأسا ونهاية ، ويصف لنا القرآن الكريم هذه الحالة في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوساً ﴾ (الاسراء / ٨٣) .

ويصف القرآن الكريم الانسان المؤمن قائلا : ﴿ الَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة / ١٥٦) ، فالمؤمن الذي يصاب بمصيبة ما لا ينظر الى هذه المصيبة من خلال اطار ضيق ، بل ينظر اليها بمنظار كوني فيقول : ﴿ إِنَّا لِلّهِ وإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ، اي ان هذه المصيبة طفيفة وصغيرة بالنسبة الى حياتي ، ثم ان هذا الحدث وغيره أعتبره بسيطا بالنسبة الى مبتدئي ومنتهاي ، فحدث الموت اكبر من هذا الحدث ، وحدث الابتداء ونعمة الوجود اعظم منه ، فوجود الانسان هو نعمة مسبوغة على الانسان لا تعادلها اية نعمة اخرى ، فلا مبرر - اذن - لليأس والقنوط .

والقرآن الكريم يبين لنا ان شخصية الانسان المؤمن تختلف عن شخصية الانسان المنافق، والكافر ، ويعبر - تعالى - عن هذه الحقيقة قائلا : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ والوجل هو حالة نفسية للانسان المؤمن تجعله يعيش دائما حالة التعادل بين الخوف والرجاء سواء كانت الاحداث سلبية ام ايجابية .

النموذج الامثل :

وقد تجسدت هذه الحالة كأحسن ما يكون في شخصية نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) الذي كان رجاؤه وأمله ان يظهر الله - تعالى - دينه على العالم كله ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكان امله ورجاءه في مكة المكرمة بمقدار أمله ورجائه في المدينة المنورة ، كما كان في نفس الوقت يحذر ويخشى من ان لا يظهر الدين سواء في مكة ام في المدينة .

ترى لماذا يعيش الانسان المؤمن هذه الحالة ؟ الجواب : لانه لا يستمد عناصر الخوف والرجاء في حياته من الواقع المادي بل يستمد عناصرهما من الواقع الغيبي ، فيدرك ان كل ما في الدنيا من خير زائل كله لانه نعمة من الله - عز وجل - والنعمة كما تعطى تؤخذ ، واذا ما وجد الشر فانه يعرف ان هناك قوة غيبية فوق هذا الشر تمكنه من ان يقضي على هذا الشر في خلال لحظات ، ولذلك فان النعم لا تغره ، كما ان النقم لا تيئسه ، لانه استمد عناصر رجائه من قدرة الله - سبحانه وتعالى - ، واستمد عناصر خوفه من نقمة الله ، وغضبه ، وقدرته على ان يسلب النعم خلال لحظة واحدة .

وهكذا فان المعادلات تتغير جميعا خلال لحظة . وقد اشار الى ذلك - تعالى - في قوله عن مباغتة الكافرين بالعذاب : ﴿ **فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ** ﴾ (النحل / ٢٦) .

وهكذا الحال بالنسبة الى النصر والفرج فانهما يأتيان الى المؤمنين من حيث لا يشعرون ايضا : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ** ﴾ (الطلاق / ٢-٣) .

صامد في كل الحالات :

ولذلك فان رد فعل الانسان المؤمن ازاء الاحداث لا يخضع للحدث السلبي كما ولا تغره الاحداث الايجابية ، فلا تخدعه اي من الحالتين ، فحالة الخداع والغرور هي حالة الافتقار الى الشخصية والرؤية ، اما الحالة المعاكسة لها فهي حالة ضعف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الارادة امام الاحداث السلبية ، فالانسان المؤمن هو الانسان الوحيد الذي يستطيع المحافظة على ذاته ، وعدم الانهيار امام الاحداث التي تقع امامه ، فهو يحافظ على توازنه سواء سلب منه شيء ام اوتي شيئا .

والى هذه الصفة يشير القرآن الكريم في قوله :﴿ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَاكُمْ ﴾ (الحديد / ٢٣) ، وفي تفسير هذه الاية يقول الامام الصادق (عليه السلام) : " لا يكتمل ايمان امرء حتى يكون مثلا لهذه الاية " ، وفي نفس المعنى يقول ايضا (عليه السلام) : " المؤمن اشد من الجبل وقلبه اقوى من زبر الحديد ، فقيل له (عليه السلام) : وكيف يابن رسول الله ؟ قال : ينال من الجبل ولا ينال منه " .

فالمعول قد يكسر احجار الجبل ، ولكن هذا المعول نفسه لا يمكن ان ينال من شخصية الانسان المؤمن والمثال على ذلك مؤمن آل فرعون ، هذا المؤمن الذي كان يكتم ايمانه ، فلما احس به فرعون امر ان يعرض الى عذاب لا يستطيع الانسان العادي احتماله ، فهرأوا جلده عن طريق القصب المفتت الذي شدوه بجسده العاري ، واخذوا يسحبونه قصبة قصبة بحيث كان جلده يتقطع مع القصب ثم قطعوا يديه ورجليه ، وثبتوه في اربعة مسامير على الارض ثم قتلوه واحرقوه ، وذروا برماده في الهواء ، ومع ذلك فقد كان هذا الانسان المؤمن الصابر يقول وهو يعاني مرارة التعذيب : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس / ٢٦-٢٧) .

ولذلك فان هذا الانسان المؤمن لم ينهار امام التعذيب ، لانه اقوى من الجبل ، واقوى من الحديد ، وهذا هو معنى الوجل ، والاضطراب القلبي الذي يجعل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانسان يعيش مترددا بين الخوف والرجاء .

والسؤال المطروح هنا هو : هل حالة التردد هذه هي حالة سلبية لدى الانسان المؤمن ؟ وجوابا على ذلك نقول : كلا ، فالانسان المؤمن يدرك ان الله – تعالى – حكيم ، ولانه يمتلك هذه الصفة فانه لا يمكن ان ينتقم من احد عبثا ، ولا يمكن ان يفضل شخصا على اخر بدون مقياس ، فالمؤمن يعرف ان المصاعب هي طريقه الى تحقيق النعمة ، وان السهولة والراحة هما الطريق الى النقمة ، وهو يعرف ايضا ان الدنيا دار ابتلاء وامتحان ، وعندما لا يجد الانسان نفسه في الدنيا مبتلى بامتحان ، ولا يجد نفسه تحت وطأة نقمة او نعمة لابد له ان يعرف انه اخذ يفشل في الامتحان .

ففي اليوم الذي يجد فيه الانسان المؤمن نفسه امام صعوبة فانه يؤنس نفسه ، وكذلك الحال اذا ما واجه نعمة ، فهو يعيش حالة التأنيب الدائم والمستمر لنفسه ، اما اذا وجد نفسه يوما غير خائف ولا وجل من الله – تعالى – فانه ينصب بالتأنيب على نفسه ايضا معتقدا ان الله – تعالى – قد وكله الى نفسه ، واخذ يستدرجه لكي ينسى الاخرة .

وعلى هذا فان الانسان المؤمن يوقن ان حكمة الله تأبى ان ينتقم من احد ، او ينعم على احد بدون عمل ؛ فان كان المؤمن خائفا فان خوفه هذا سيدفعه الى العمل الصالح ، واذا كان راجيا فان رجاءه سيدفع به ايضا الى العمل ، فهو اساسا خائف وراج في نفس الوقت .

فعن الامام الصادق (عليه السلام) أنه قال : " ارج الله رجاء لا يجرئك على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معاصيه وخف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته " [١]

وعنه (عليه السلام) : " لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولايكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو " [٢] .

وبعد فان هذه الروح هي التي تحث الانسان المؤمن على القيام بالعمل في سبيل الله - تعالى - ، وهذا هو معنى الوجل الذي هو احد العناصر الرئيسية الداخلة في تركيب الشخصية الايمانية .

زيادة الايمان :

اما العنصر الثاني فيتمثل في (زيادة الايمان) ، فالانسان الذي يرى آيات الله ونعمه في السماوات والارض ثم لا يزداد ايمانه فانه انسان غير مؤمن ، كما اشار الى ذلك - تعالى - في قوله : ﴿ **وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً** ﴾ .

وليس من الضروري ان تكون الايات هنا هي الايات القرآنية ، فقد تتجسد آيات الله - عز وجل - في كل ما في الكون من مظاهر القدرة ، والجمال ، والروعة ، والمؤمن اذا تليت عليه آيات الله زادت من ايمانه ، اما الانسان الذي لا يزداد ايمانا فهو غير مؤمن ، وليحاول ان يفتش لنفسه عن اسم اخر كـ (الكافر) او (المنافق) او (المشرك) ، المهم انه انسان غير مؤمن !

---

[١] موسوعة بحار الانوار ج ٦٧ ص ٣٨٤

[٢] موسوعة بحار الانوار ج ٦٧ ص ٣٦٥

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التوكل على الله :

اما العنصر الثالث والاخير فهو التوكل على الله - تعالى - : ﴿ **وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ وقد جاءت الاشارة الى هذه الصفة في آية اخرى هي :﴿ **الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ..** ﴾ (فصلت / ٣٠) وانا ارى ان صفتي الاستقامة والتوكل يمثلان صفة واحدة ؛ فالتوكل هو مبعث الاستقامة ، والاستقامة بدورها هي نتيجة التوكل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الخامس

العلم والايمان جناحا التقدم

لقد زود الله – سبحانه وتعالى – الانسان بجناحين يمكنه بهما التحليق أنى شاء ، ألا وهما العلم والايمان . فعندما يكتمل نموهما يكون الانسان – حينئذ – أهلا للتكامل ، والسمو ، والتقدم سواء على الصعيد الفردي ام الاجتماعي ، ذلك لان تكامل الانسان مرهون بتكامل إيمانه وعلمه .

حقيقة الايمان :

يا ترى فما هو الايمان ، وكيف يتكامل الانسان بالعلم والمعرفة ؟

ربما يمكننا ان نعرف الايمان بأنه الخروج من زنزانة النفس الأمارة بالسوء ، والتحرر من اغلال الهوى ، وقيود الشهوات ، وانعتاقه من شح النفس وبخلها ، وانطلاقه – اي الانسان – في رحاب الحق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والايمان هو تحول نوعي في صميم النفس البشرية يعمل على اخراجها من اطارها الضيق المحدود نحو آفاق الآخرين ، لتعيش تطلعاتهم وهمومهم ، بالاضافة الى تطلعات النفس وهمومها . فالانسان الذي يحيى اجواء الايمان نجده يعيش هموم اخوته ، ويكافح من أجل احقاق حقوقهم ، ولا يؤطر تطلعاته فيجعلها انانية متوقفة على حقوقه ، ومصالحه .

واصل الايمان هو اعتراف الانسان ، وتسليمه باكبر الحقائق ، ألا وهي حقيقة الالوهية المطلقة ، ومنه يتفرع التسليم بحقائق الوجود الاخرى . ولذلك فان الكافر با لله – عز وجل – لا يؤمن بحقيقة اخرى ، و لا يعتقد بشيء آخر ، ذلك لان ا لله – سبحانه – اكبر شهادة من كل شيء ؛ فعندما يكفر الانسان بالشمس الساطعة ونورها ، ولا يؤمن بوجودها ، فكيف نتوقع منه ان يؤمن بوجود شمعة صغيرة اذا ما اوقدتها له ليبصر بنورها ؟ فالذي لا يرى النور الساطع لا يمكنه رؤية البصيص منه .

ولذلك كان اول الايمان معرفته – جل شأنه – . فان تعرف ربك ، وتسلم له وتعتقد به ، فانك تكون قد بلغت قمة الايمان .

الخروج من أسر الذات :

ولكي تنفتح امام الانسان آفاق الايمان فان عليه ان يخرج نفسه من أسر انانيتها ، والا فان البقاء في سجن النفس يدفع الانسان الى التجبر ، والتكبر ، وحب الذات . ولذلك فان عليه ان يستشعر في اعماق نفسه انه لا يعيش لوحده ، وانه ليس هو اله هذا الكون ، بل ان هناك الها عظيما ، وربا قادرا عليما هو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المهيمن والمسيطر ، وهو الذي لا اله إلا هو ، وهو الجبار المتكبر ..

وفي القرآن الكريم كثيرا ما تطالعنا المقارنة بين الايمان بـا لله - سبحانه - وبـين ان ينطوي الانسان في حياته على هوى الذات ، وفـي ذلك يقـول - تعـالى - : ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَـافَ مَقَـامَ رَبِّـهِ وَنَهَـى النَّفْسَ عَـنِ الْهَـوَى * فَـإِنَّ الْجَنَّـةَ هِـيَ الْمَـأْوَى** ﴾ (النازعات / ٤٠ - ٤١) . فخشية ا لله - عز وجل - وهوى النفس يقفان على طرفي نقيض ، ولا يمكن الجمع بينهما ؛ فالقلب المعمـور بالايمـان لا يمكنـه ان يتعلق بهوى النفس الا إذا تزلزل الايمـان فيه لسبب مـن الاسباب . فـالهوى هـو حجـاب الايمـان ، وهـو - في الحقيقـة - اكـبر عـثرة ، واعظـم حـائل دون سـير الانسان نحو ربه ، ودون تكامله من خلال التقرب اليه - سبحانه - ، ولذلك فان الذي يختار طريق الايمان والتقوى ، عليه - اولا - ان يزيل مـن قلبـه حـب الانـا ، ويتخلص من هوى النفس .

الايمان نور الدارين :

والايمان هو نـور الداريـــن ؛ فهـو نـور في الدنيـا ، وبـه يميز المؤمـن بـين الحـق والباطل ، وبين الظلم والعدل ، وبين الخطـأ والصـواب . في حـين ان ذلـك الـذي يتبع هوى نفسه ، وشهواته فان جميع الامور سوف تختلط عليه ، ولذلـك جـاء في الدعاء الشريف :

﴿ **اللهم أرني الحق حقا فأتبعـه ، والباطـل بـاطلا فأجتنبـه ، ولا تجعلـه عليَّ متشابها فاتبع هواي بغير هدى منك** ﴾ .

وفـي الحقيقـة فان الذين لا يؤمنون حق الايمان ، ويتبعون الهوى والشهوات هم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عمي في قلوبهم . ومن المعلوم ان عمى القلب هو اشد واسوء من عمى العين ، لانه يورث العمى في الآخرة ايضا كما يشير الى ذلك - تعالى - في قوله : ﴿ وَمَن كَانَ فِي هذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (الاسراء / ٧٢) . فالذي لا يبصر الحقائق في هذه الدنيا رغم ما أوتي من اسباب الرؤية والابصار لايمكنه ان يبصرها غدا في الآخرة ، بل انه سيزداد عمى ، وفقدانا لهذه البصيرة ، اللهم الا عندما تتكشف له الحقائق وعندها لا ينفعه الايمان كما يصرح بذلك العلي القدير في قوله :

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾ (الانعام /١٥٨) .

اما الانسان المؤمن فان له يوم القيامة نورا ساطعا في وجهه يضيء له طريقه ، فيبصر به الصراط المستقيم من بعيد ، وله نور يشع من جوانبه ، في حين ان الملائكة والنبيين والمؤمنين يحيونه ، ويسلمون عليه كما يؤكد على ذلك القرآن الكريم في قوله :

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (الحديد / ١٢) .

الايمان أماننا في الآخرة :

وبهذا الأمن والاطمئنان يقتحم المؤمنون ساحة المحشر الرهيبة المخيفة ذات الهول والفزع الاكبر ، آخذين طريقهم الى ما بشروا به من النعيم الأبدي ، حيث الانهار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

باختلاف مشاربها ، وحيث الاطعمة الفاخرة التي لا تنعدم لذتها ، وحيث الفاكهة التي ما رأتها عين .. وما الى ذلك مما تشتهيه الانفس ، وتلذ به الأعين ، وتطيب له النفوس والقلوب .

وبشرى هذا النعيم يتلقاها الانسان المؤمن حيث تتوافد عليه الملائكة من كل جانب ، كل منهم يحمل له بشارة من بشارات النعيم الخالد الابدي الذي ليس له حد ولا نهاية . وهذا هو اعظم ما يعيشه الانسان من تطلع في قلبه ، الا وهو النزوع الى الخلود . فكل انسان ينزع الى الخلد ويبحث عنه ، ولعل جل ما يبذله الانسان ويكدح له هو الاستمرار في الحياة لكي يتنعم بها ما أمكنه . فحب الخلود هو الذي يدفع الانسان نحو التحرك والنشاط ، وبهذه الحركة والنشاط يفر من الموت وسكراته .

وبناء على ذلك فمن طبيعة الانسان انه يروم الخلود في الارض ، ويفر من الموت واسبابه ، ولكن ليس كل ما يرومه الانسان هو في مصلحته ، وإن كان الأمر يتعلق بالحياة والخلود فيها .

ومع ذلك فان طول العمر هو مبعث للانسان على الملل والضجر من الحياة ، فنحن كثيرا ما نجد الذين يعمرون يجزعون من هذه الحياة . فما الذي يجده الانسان في حياته غير المشاكل ، والمتاعب ، والمصاعب ؟ فالسعادة فيها لا تستغرق سوى سويعات قلائل تمر كالحلم .

الموت بين المؤمنين والكفار :

ومن الحقائق الثابتة في هذا المجال ان الله - تبارك اسمه - يسهل امر الموت على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المؤمن فلا يقبض روحه حتى يرضيه ؛ اي ان الله يبعث للمؤمن عندما تحل ساعة اجله ملائكة تزين له الموت ، فيرضى به ، ويسلم الامانة مطمئنا رغم صعوبة انتزاع الروح من بدن الانسان .

اما الكافرون والمنافقون فان موتهم هو بداية عذاب الحسرة الى يوم القيامة كما يصرح بذلك - تعالى - في قوله :

﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (الحديد / ١٣) .

فمن اين للمنافق العودة الى هذه الدنيا ؟ ولعل المقصود هنا بالباب الشفاعة - والله اعلم - ، فهناك من تكون درجة نفاقه ضئيلة فتشمله الشفاعة حينئذ ، وهناك الذين طبعوا على النفاق ، واسودت قلوبهم به ، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين .

التبرير خداع الذات :

ثم يقول - تعالى - واصفا حال المنافقين في يوم القيامة من خلال الحوار الذي يدور بينهم وبين المؤمنين : ﴿ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَآءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (الحديد / ١٤) . فالانسان كثيرا ما يخدع نفسه ، ويحدثها بأمور واهية باطلة ، ويحاول اقناعها بما ليس فيه من الحق والصواب بمختلف التبريرات التي يختلقها في مخيلته ، واوهامه ، ولذلك يقول - عز من قائل - : ﴿ يُخَادِعُونَ

اللّهَ وَالَّذِينَ ءامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة / ٩)

وهذه هي فتنة النفس وبعدها يأتي التربص اي ؛ ترك العمل ، وتأجيله ، واتخاذ التسويف سلوكا تجاه المسؤولية ، والتكليف الشرعي . علما ان التسويف هو احد اسلحة الشيطان الخفية ، وللتخلص من هذا الداء على المؤمن ان يكون مثابرا ، ومسارعا في الخيرات ، واداء ما عليه من الفرائض ، والواجبات ، والمسؤوليات الشرعية تجاه اسرته ومجتمعه وامته .

ويلي التربص - كما نرى في الآية السابقة - الريبة والشك ، فاذا ما ترك التربص أثره في نفس الانسان فانه سيصبح عرضة لداء الريبة والشك حتى في الامور الواضحة البينة . علما ان هاتين الصفتين الذميمتين هما من حبائل الشيطان والذي يسعى من أجل ان يلقيها على قلب الانسان ليوقعه في فخ النفاق الى درجة انه يبدأ يشك حتى في وجوب الفرائض الدينية كالصلاة والصوم والحج وما الى ذلك .

وبعد التسويف والوقوع في حبائل الريبة ، يزداد الانسان انزلاقا في مهاوي النفاق بأن يعلل نفسه بالآمال الخادعة ، ويمنيها بالاماني الكاذبة كما يقول - تعالى - : ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ ﴾ ومن امثلة ذلك ان يؤمل العاصي نفسه بالمغفرة ، وما وسع من الرحمة الالهية فلا تجده يسارع الى التوبة ، ويعجل بها ، فيتساهل في المبادرة اليها حتى يفاجئه الأجل وقد خسر كل فرصة في حياته ، والى هذا المعنى يشير - تعالى - في قوله :

﴿ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَآءَ أَمْرُ اللّهِ وَغَرَّكُم بِاللّهِ الْغَرُورُ ﴾

والغرور هو مجموعة من العوامل الشيطانية التي تعمل على تأخير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الانسان ، وابعاده عن مسيرة الايمان التكاملية التي توصله الى رضا الله ورحمته ومغفرته .

الايمان والعلم اساس كل حضارة :

وهنا نعود لنؤكد على ان جناحي التكامل ، والسمو الانساني نحو العلى والتقدم والفوز بالرضا الالهي هما الايمان والعلم ؛ فما من حضارة بنيت بناء رصينا ، وازدهرت ، وسمت في آفاق التاريخ إلا على اساس ذينك الجناحين ؛ العلم والايمان . وفي مقابل ذلك فان التدهور ، والخراب ، والدمار كل ذلك سوف يحل بالحضارة عندما ينحرف ابناؤها عن تلك المسيرة ، ويتداعى عندهم ركنا الايمان والعلم ، فتتهاوى هذه الامة الى الارض ، وتصبح ضحية للوحوش المفترسة الجائعة . وهذا هو مصير كل امة يفقد ابناؤها ذينك الجناحين ، فان مصيرها سوف لا يكون سوى التدهور ، والتخلف والسقوط فتغدو لقمة سائغة في افواه جبابرة الارض المستكبرين ، والطامعين .

والدليل على ذلك هو حال امتنا الاسلامية في القرون الاخيرة ؛ فقد ضعف ايمان ابنائها ، وتركوا علمهم ، فتخلفوا عن الركب الحضاري و لم يعودوا قادرين على مواجهة هذا الهجوم الشرس للناهبين والطامعين ، وصاروا ضحية وفريسة لكل من هب ودب من الشرق والغرب . فابناء الامة عندما انحرفوا عن الطريق الرسالي ؛ طريق العلم والايمان ، فان الامة تخلفت حضاريا ورساليا ، وخارت قواها بعد ان انعدمت اسباب القوة الحقيقية فيها . وقد صدق النبي (صلى الله عليه وآله) عندما قال : " من لا معاد له لا معاش له " ، وعندما قال ايضا : " من لم يهتم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأمور المسلمين فليس بمسلم " ، فالانسان المسلم الذي لا يهتم بأمور اخوانه ، وابناء امته يمحى اسمه من قائمة المسلمين ، فعندما ينقضي نهارك وتبيت ليلتك وانت غير مبال بما يجري على اخوانك المسلمين سواء القريبين منهم اليك او البعيدين ولا يتحرق قلبك عليهم فاعلم ان الملائكة سوف لا تدون اسمك في قائمة المسلمين في ذلك اليوم .

وهنا تبرز اهمية الفكرة التي بحثناها وهي الأخذ بسلاحي العلم والايمان لكي نخرج مما نحن فيه من حال متدهورة متخلفة تكاد تمسخ هويتنا ، ووجودنا ، ورسالتنا في الحياة . ونحن لو أخذنا بهذين العنصرين لكانا لنا الجناحين اللذين نسمو بهما نحو الرفعة والازدهار والتقدم ، لنبرز مرة اخرى بين امم الارض ، ولا نعود بحاجة الى ان نمد يد الاستجداء الى هذه الدولة او تلك فضلا عن ان نتحول الى القصعة التي تتداعى الامم عليها .

وهكذا فلابد لنا من ان نتوكل على الله - تبارك وتعالى - ، ونعمل بعلمنا وايماننا لكي نبلغ اهدافنا السامية المنشودة التي تضمن لنا العزة والكرامة في الحياة الدنيا ، والرضوان ، والنعيم ، والخلود ، والتمتع بالنعم التي لا حصر لها ولا زوال في الدار الآخرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

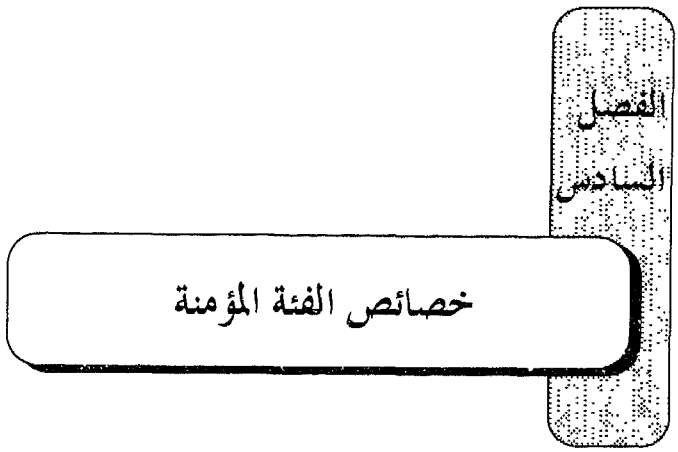

خصائص الفئة المؤمنة

عندما تقاتل فئة فئة اخرى فانهما قد تكونان كلاهما ضالتين تدخلان النار ، وقد تكون احداهما مؤمنة والاخرى كافرة .

وفي هذه الحالات من القتال والصراع فان كل فريق يدعي بأنه هو الفئة الناجية التي تدخل الجنة دون الفئات الاخرى ، ولابد ان يدعي كل فريق انه هو الذي يمثل الارادة الالهية فوق الارض . حتى هتلر الذي أحرق العالم بأسلحته ، كان يدعي انه يدافع عن الصليب ، وان الله – تعالى – قد بعثه منقذا للبشرية ، وهكذا الحال بالنسبة الى طغاة العالم الاخرين .

وهكذا فان كل فئة كانت تبحث عن تبرير لاعمالها ، والتبرير جاهز عند الانسان ، فهو يغلف اعماله بغطاء جذاب من التوجيه الذاتي ، او الخداع الذاتي الذي يخدع به نفسه ، ويحاول ان يخدع به الاخرين .

ومع ذلك فان هذه الادعاءات ليست هي المقياس ، بل المقياس الحقيقي ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تثبت اخلاصك ، وقدسية رسالتك عبر البرامج الالهية الموجودة في القرآن الكريم ، فاذا استطعت ان تثبت انك مع الحق لا مع نفسك ، فسيكون بمقدورك ان تثبت كونك من ضمن الفئة المختارة المؤمنة .

وفي سورة آل عمران التي خصصت فيما يبدو لي لبيان الوحدة المبدئية بين ابناء الرسالات الالهية ، وخصوصا بين ابناء الامة الاسلامية ، وضرورة الاعتصام بحبل الله ، وعدم التفرق ، في هذه السورة المباركة يشير - سبحانه وتعالى - الى ان هناك صراعا بين فئتين ؛ فئة مؤمنة ، وفئة كافرة ، ولكن الفئة المؤمنة سوف تنتصر بأذن الله .

فلسفة الصراع :

ولكن سرعان ما يبين القرآن الكريم فلسفة الصراع وخلفياته واسبابه ، والبرامج الاساسية التي لابد ان يثبت اي طرف من طرفي الصراع صحة مقولته واسلوبه عبرها لاعبر الادعاء والزعم ، فلنتأمل السياق القرآني التالي :

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ * زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران / ١٣-١٧) .

فهذا السياق يصور لنا فئتين التقتا على ارض المعركة لينشب بينهما صراع دموي هو قمة الصراع الاجتماعي ، وبتعبير اخر ؛ نهاية المطاف للصراعات الاجتماعية . وبعد ذلك يحدثنا القرآن الكريم عن حب الشهوات لانه لابد ان يكون طرفا في الصراع بين فئتين ، فلا يمكن ان تلتقي فئتان على ارض المعركة في سبيل الله ، ولا يمكن ان تتحارب طائفتان مسلمتان ، وتستمران على اسلامهما ثم تدخلان كلاهما الجنة ، فلابد ان يحدو باحدى الطائفتين الى ارض المعركة حب الشهوات ، ولابد ان تكون الذات محورا لاحدى الطائفتين او لكلتيهما .

والقرآن الكريم يحدثنا عن هذا الصراع فيقول : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ﴾ ثم لا يلبث ان يقول : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ ليبين ان هذا الحب الذي زينه الشيطان للناس هو اساس الصراع .

مواصفات الفئة المؤمنة :

وبعد ذلك يذكر القرآن صفات الفئة المؤمنة التي تدعي وتثبت ادعاءها عبر برامج عملية وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ فاذا كنا من هذه الطائفة فحينئذ سيكون بامكاننا ان ندعي اننا فئة مؤمنة ، وان صراعنا هو صراع بين الحق والباطل ، وان لم نكن فلابد ان يكون حب الذات قد داخلنا ، وامتزج مع اهدافنا ، وعبدنا الهوى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واتخذنـاه الها من دون الله .

وهنـا يبـرز لنـا محـوران ؛ محور الهوى ، ومحور الهدى . محـور الـذات ، ومحـور الله – عز وجل – ، فعندما نقف امام ربنا خمس مرات في كل يـوم هـاتفين : الله اكبر ، فان هذا يعني اننـا نسقط بهذه الكلمة اصنـام ذاتنـا ، فـالله هـو اكـبر مـن ذواتنا ، ولابد ان نتمحور حول قيم الخالق وليس حول الشهوات الذاتية ، وهكـذا الحال عندما ننطق بشهادة التوحيد فان هذه الشهادة تستوجب منا ان نحطم اصنـام انفسنا قبل كل شيء ، وهذا يعني ان ندرك اننا لسنا آلهة ، ولسنا مقدسين ، ولسنا مصداقا لكل حقيقة ، واننا لا نستطيع ان نقول ان الحق معنا يـدور حيثمـا درنـا ، فالرجال يعرفون بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال .

ان مـن الخطـأ الفظيـع ان يصبـح الانسـان قديسـا فـي نفسـه ، فعندمـا تركـع وتسـجد وتقـول (سبحـان ربـي العظيـم وبحمـده) او (سـبحان ربـي الاعلـى وبحمده) ، فان هذا يعني انك لست مقدسا بل الله هـو القـدوس ، وعندمـا نعتـبر الله وحده هو الرب القدوس المنزه ، وحينمـا نسبحه كمـا تسبح لـه السـماوات والارض فحينئذ سنبدأ في مسيرة تكاملية نحو اهدافنا المقدسة .

سلسلة المعرفة في الاسلام :

اننا بمعرفة الله – سـبحانه وتعـالى – نعـرف الرسـول ، وبمعرفـة الرسـول نعـرف الامام كما يصرح بذلك الدعاء الشريف التالي :

" اللهـم عرفني نفسك فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف نبيك ، اللهـم عرفـني رسولك فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك ، اللهم عرفني حجتك فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني " .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهنا تكمن نقطة البدء ، والله - تعالى - يصرح ان هناك في الصراع فئتين ؛ فئة تقدس ذاتها ، وتحب شهواتها ، وتبدأ من الانا ، وفئة اخرى على العكس من ذلك تماما . ومن ابرز صفات هذه الفئة المؤمنة ما يشير اليه - عز وجل - في قوله : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ اي ؛ اننا آمنا بك ، ولم نؤمن بأنفسنا ، او بأي صنم مهما كان اسمه او لونه ، فالاسماء تتعدد ولكن المحتوى واحد ، فالصنم يتشكل بأشكال مختلفة ، ولكن جميع الاصنام منشأها الذات .

ثم ان هؤلاء المؤمنين لا يقدسون ذواتهم ، بل يدعون ربهم قائلين : ﴿ فَاغْفِرْ لَنَا ﴾ ، فيعترفون بذنوبهم ، فالذين يعتقدون انهم خير من الاخرين لا يمكن ان يفلحوا ، وفي هذا المجال يروى عن الامام الصادق (عليه السلام) انه قال : " لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون كامل العقل ، ولا يكون كامل العقل حتى يكون فيه عشر خصال ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يستقل كثير الخير من نفسه ، ويستكثر قليل الخير من غيره ، ويستكثر قليل الشر من نفسه ، ويستقل كثير الشر من غيره .

لا يتبرم بطلب الحوائج قبله ، ولا يسأم من طلب العلم عمره ، الذل أحب اليه من العز ، والفقر أحب اليه من الغنا ، حسبه من الدنيا قوت ، لا يلقى أحدا الا قال : هو خير مني وأتقى .

انما الناس : رجل خير منه واتقى ، وأخر شر منه وادنى ، فاذا لقي الذي هو خير منه (واتقى) تواضع له ليلحق به ، واذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال : لعل شر هذا ظاهر وخيره باطن ، فاذا فعل ذلك علا وساد أهل زمانه " [١] .

---

[١] موسوعة بحار الانوار ج ٦٤ ص ٢٩٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومثل هذا الحديث يستدعي تساؤلا هو : نحن لا نرى انفسنا افضل من الاخيار الطيبين ، بل اننا نشك في كوننا من الناس الطيبين ، ولكننا نرى انفسنا احسن من الاشرار ، فكيف ؟ في هذه الحالة علينا ان نقول ان عاقبتهم ربما بخير فيما تسوء عاقبتنا .

ترى هل من السهل ان يكون الانسان صابرا في البأساء والضراء وحين البأس ، وعند طغيان الشهوات ، وهل من السهل ان يصدق الانسان في عمله وقوله ؟ لنجرب الصدق يوما واحدا ، ولنحاول ان لا نكذب ، وسنرى كم من الصعب على الانسان الغارق في هواه وشهواته ان يستقيم على الصدق .

ثم يستأنف - تعالى - قائلا : ﴿ **الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ** ﴾ ، فقلوب هؤلاء المؤمنين المجاهدين خاضعة وخاشعة ، فلنرجع الى انفسنا ، ولنقيمها بمدى خضوع قلوبنا ، فهناك شيطان مارد يخدعنا ، ويثير فينا دائما الانانيات ، والكبرياء الذاتية ، فلنقهر هذا الشيطان من خلال البرنامج الروحي التالي الذي يشير اليه القرآن الكريم قائلا : ﴿ **وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ** ﴾ .

فحينما تنام العيون ، وتسكت الاصوات ، وتهدأ الحركة ، ينبعث الانسان المؤمن بأيمانه الصادق من فراشه ، ويقف امام الله - تعالى - ودموعه تجري وقلبه يرتجف ، وفرائصه ترتعد ، قائلا : " من انا ؟ وكيف اواجه ربي بهذه الذنوب التي احملها على ظهري ؟ ومن ينقذني من نار جهنم حيث لا عشيرة ، ولا قبيلة ، ولا شعارات ، ولا اسماء ، ولعناوين ، ولا تجمعات ؟ وحينئذ يغسل هذا الانسان ذنوبه ، ويرسم استراتيجيته ، ويقهر نفسه الامارة بالسوء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا وجدت هذه الفئة المؤلفة من هكذا مؤمنين فلنعلم انها هي الفئة التي بشرها الله - جل وعلا - في كتابه العزيز بالنصر عندما قال : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ ﴾ .

لنراجع انفسنا :

فلنحمل عبء الرسالة الاسلامية التي هي رسالة الوحدة بالدرجة الاولى ، وعلى كل واحد منا ان يراجع نفسه قبل ان يراجع الاخرين ، ويحاسبها قبل ان يحاسبهم ، وان لا يستكثر ما قدمه ، ولا يصيبه الغرور والكبرياء ، ولا يضخم في المقابل اخطاء الاخرين من خلال اتباع المنهج التربوي الروحي الذي اوضحه الخالق - عز وجل - في الايات السابقة حول الكيفية التي من خلالها نصبح الفئة المؤمنة المخلصة التي تقاتل في سبيل الله - تعالى - ، وتخوض الصراع من اجل وجهه الكريم دون الفئات الاخرى التي تدفعها الاهواء والشهوات لخوض الصراع ، هذه الاهواء والشهوات التي يقف في مقدمتها حب الذات والانا والدوافع الذاتية الضيقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

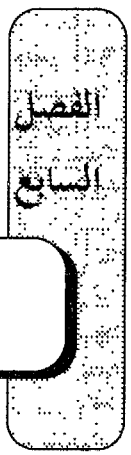

عقبات في طريق الايمان

ما هي الحجب والموانع التي تمنع الانسان من التزود الذاتي بالايمان ، وما هي العقبات النفسية التي تعترض طريق الايمان ، ولماذا نرى البعض من الناس يتبعون منهج الايمان ، والبعض الاخر يضلون حتى يصل بهم الامر الى الكفر با لله ؟

اننا اذا عرفنا انفسنا ، وعرفنا العقبات النفسية التي تعترض طريق تقدمنا فاننا سوف نستطيع اصلاح انفسنا ، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه .

الايمان درجات :

وقبل ان نجيب على تلك التساؤلات لابد من كلمة نمهد بها للجواب وهي ؛ ان الايمان ليس قيمة مطلقة بل هو متدرج ، فمن الممكن ان يكون للانسان ايمان بسيط لا يضيء الا بوصة واحدة من قلبه ، كما ويمكن ان يكون هذا الايمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كايمان الرسول (صلى الله عليه وآله) ، او أمير المؤمنين (عليه السلام) ؛ هذا الايمان الذي لم يضيء كل مساحة قلبي هاتين الشخصيتين العظيمتين فحسب ، وانما اضاء العالم على مر الاجيال ، وسيظل مضيئا .

وعلى هذا فان الايمان ليس درجة واحدة ، فكل واحد منا من الممكن ان يكون مؤمنا . وقد صرحت الروايات في هذا المجال ان درجات الايمان تتفاوت من انسان لاخر ، وان هذا التفاوت يظهر بصورة جلية في يوم القيامة بسبب اختلاف الناس فيما بينهم في مدى طاعتهم لله – سبحانه وتعالى – ومدى مقاومتهم ، وصبرهم على المصائب والمحن التي تمر بهم في ذات الله .

وهكذا فان الايمان مؤلف من مراتب ودرجات ، والموانع التي تحول الانسان دون ان يصبح مؤمنا هي تلك الموانع التي تمنع الانسان من ان يرتفع من درجة ايمانية الى درجة ايمانية اعلى واكثر ارتفاعا .

عقبات الايمان النفسية :

وعلى سبيل المثال ؛ لماذا لم يصبح (ابو لهب) مؤمنا ، ولماذا لم يتبع الرسول (صلى الله عليه وآله) ؟ انها العقبات النفسية ، هذه العقبات هي التي تعترض طريقنا وتمنعنا من ان نصبح مثل سلمان الفارسي او ابي ذر الغفاري ، او عمار ، وغيرهم ممن سبقونا في الجهاد ، والتضحية .

ان الموانع والعقبات النفسية هي التي تمنع الكفار من ان يصبحوا مؤمنين ، وهي التي تمنعنا نحن من ان نرتفع في درجات الايمان عاليا ، في حين ان اعمارنا تعتبر فرصة ثمينة يجب علينا ان نسارع خلالها الى الحصول على درجات الايمان ؛ فنرتقي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من درجة الشاكرين الى درجة الصابرين ، ومن هذه الدرجة الى درجة المجاهدين ، ومن درجة المجاهدين الى مرتبة الشهداء .

وهذه الدرجات يجب علينا ان نطويها في حياتنا ، ونربي انفسنا عليها حتى نصل الى قمة القمم ، فما هي الموانع والعقبات التي تعترض طريقنا ؟ ، في رأيي ان العقبة الكأداء الوحيدة التي تقف حجر عثرة في طريقنا ، هي الاوهام الباطلة لا غير . فالخداع الذاتي الباطل هو الذي يقف وراء كفر الكافرين ، واذا استطاع الانسان التغلب على اوهامه وغروره وخداعه الذاتي ، فانه سيستطيع التغلب على كل عقبات الايمان ، وبالتالي فانه سيصل الى قمة قمم الايمان .

وتفسير ذلك يمكننا ان نجده فيما يلي :

الخير كله في الايمان :

اذا اردنا نحن وكل العقلاء في العالم ان نتعمق في الايمان بشكل صحيح فاننا سنصل الى هذه الحقيقية ، فالايمان فيه الخير كله في الدنيا والاخرة ، وهذه الحقيقية لا تحتاج الى دليل لاثباتها ، ومع ذلك فانني ساستدل عليها متسائلا : لماذا لا يؤمن الانسان اذا عرف انه سيحصل على الخير كله في الدنيا والاخرة من خلال الايمان ؟

ان البعض يقولون جوابا على هذا التساؤل ان الكفار لا يؤمنون بسبب شهواتهم ، في حين انني لا أأيد هذا التفسير ، فالانسان المؤمن من الممكن ان يتمتع بلذائذ الدنيا ، ويتنعم فيها اكثر من الانسان الكافر والمنافق .

وهناك طائفة اخرى تقول في تفسير عدم ايمان الانسان الكافر انه اذا آمن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فسيصبح ذليلا ، في حين ان عكس ذلك هو الصحيح ، فالايمان هو الذي يعطي الانسان العزة كما يقول - تعالى - : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون / ٨) .

فلماذا لا يؤمن الانسان مادام الخير كله ، والحرية ، والعزة ، ونعم الحياة الدنيا والاخرة فيه ؟ ان هناك شيئا هو الوهم ، فمن الذي يزرع الوهم في قلب الانسان ؟ انه الشيطان الذي يأتي ويزرع الاوهام الباطلة المرة بعد الاخرى ، فللشيطان ملايين الشتائل من الوهم ، وعلى الانسان ان يزود نفسه بـ (جرافة) روحية يجرف بها هذه الاوهام الباطلة ، ويطهر قلبه منها ، لكي يفيض نور الايمان عليه ، ويضيء كل ابعاد حياته .

ومن اجل ان نصور كيف يزرع الشيطان الاوهام الباطلة في قلب الانسان ، نضرب المثال التالي : افترض انك اردت ان تصلي صلاة الليل بعد ان سمعت عما تقدمه للانسان من فوائد جمة في الدنيا والاخرة ، فتوقت الساعة ، ومن ثم تنام وانت مصمم على اداءها ، وعندما يرن جرس الساعة تنهض من نومك ، واذا بالشيطان يزرع الاوهام في قلبك ، فيوسوس لك مثلا بان لديك اعمالا في الصباح سوف لا تستطيع ان تؤديها اذا ما اديت صلاة الليل لانك سوف لا تستطيع النهوض مبكرا من النوم ... وهكذا يخدعك الشيطان بالاوهام التي يزينها لك ، ويقدمها في لباس معقول ، فاذا بك تستسلم لهذا الشيطان ، فتنام ثانية ، ولكنك مع كل ذلك قد تنهض متأخرا ، فتفوتك صلاة الفجر ايضا ، لتنصب باللوم والتقريع على نفسك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارادة الحياة تهب الحياة :

واذا ما تغلبت على هذه الاوهام ، واستيقظت ، وردعت الشيطان من خلال المبادرة الى الوضوء ،واداء صلاة الليل ، فان هذه الصلاة ستمنحك ارادة قوية في الحياة ، بالاضافة الى استطاعتك الذهاب الى عملك في وقت مبكر ، واداء جميع اعمالك ، كما يشير الى ذلك الحديث الشريف :

" ما ضعف بدن عما قويت عليه النية " .

فقوة العزيمة هي التي تعطي الانسان القوة في الجسم ، وارادة الحياة هي التي تنفخ في الانسان روح الحياة ، وهذه الكلمات انما اقولها لكي نعرف ان الوهم وحده هو الذي يمنعنا من الارتفاع في درجات الايمان ، في حين ان ارادة الحياة هي التي تهب الحياة ، وارادة القوة هي التي تمنح القوة ... وهكذا .

ونحن نلاحظ - كدليل على ما قلناه - ان الرؤساء والملوك والقادة الكبار ومن اشبههم انهم عندما يعزلون من مناصبهم فانهم يستسلمون الى الموت بسرعة ، في حين انهم يعمرون عندما يكونون في مناصبهم ، وقد كشفت الدراسات العلمية في هذا المجال ان هؤلاء عندما يكونون في مناصبهم فان اردة الحياة تكون قوية في نفوسهم ، وعندما يعزلون تضعف هذه الارادة فيهم ، فيستسلمون للمرض وبالتالي للموت .

وفي مجال اخر اثبتت الدراسات بعد بحث دقيق ان الذين ينتحرون بتناول المواد السامة ، فان ارادة الموت تسهم في القضاء عليهم اكثر من تلك المواد نفسها ، فالكمية التي كانت موجودة في اجسامهم من المواد السامة لم تكن كافية للقضاء عليهم بسرعة ، فماتوا لانهم فقدوا الاحساس بالحياة .

كما واثبتت التجارب ان الانسان المصاب بمرض سرطان - مثلا - من الممكن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ان يكون له امل في الحياة اذا ما كانت فيه ارادة الحياة ، واذا ما غمره الاحساس بانه قادر على ان يعيش في هذه الحياة لوجود الامل في نفسه .

وهكذا فان ارادة الحياة تساعد الانسان على ان ينتصر ، ويتغلب على الكثير من المشاكل في حياته ، فارادة الحياة هي التي تعطي الحياة للانسان لا مظاهر الحياة نفسها ، وعلى سبيل المثال فعندما لا يؤدي احدنا صلاة الليل تراه في صباح اليوم التالي اكثر كسلا ، واقل نشاطا وانتاجا من ذلك الذي يؤدي هذه الصلاة .

لا غنى عن الايمان :

وللاسف فان البعض يقول ان علينا ان نؤدي خدمة اجتماعية بدلا من ان نصلي ، في حين ان هذا التصور مغلوط فلو لم يتزود الانسان بالايمان فانه سوف لا يستطيع ان يقدم اية خدمة اجتماعية .

البعض يوجب دراسة العلم ، ومطالعة الكتب لان تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، فدراسة العلم هي التي تجعل الانسان ناجحا في الحياة ، والملائكة تبسط اجنحتها لطالب العلم ، والمخلوقات تستغفر له حتى الحيتان في البحر .

ان هذا صحيح كله ، ولكن كيف يستطيع الانسان متابعة مسيرته العلمية ؟ فتحصيل العلم هو من اصعب الامور ، فكيف يستطيع الانسان ان يطلب العلم الى اخر مستوياته ؟ انه يستطيع ذلك من خلال الايمان ، وهذا الايمان يمكننا الحصول عليه بواسطة اداء العبادات واجبة كانت ام مستحبة .

وعلى هذا فان درجات الايمان كثيرة ، وعلينا ان نصل الى الدرجات والمراتب الرفيعة منه ، والسبب الوحيد الذي لا يدعنا نصل الى هذه الدرجات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو الوهم والمخاوف الباطلة ، والغرور المزيف ، فكيف نستطيع التغلب على هذه العقبات ؟ اننا نستطيع ذلك من خلال تنمية (الظن الحسن) في نفوسنا ، من هذا المجال يقول - تعالى - :﴿ **الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ (البقرة / ٤٦) .

والظن هو الوهم والخيال ، فاذا جاءنا الشيطان ، وضخم لنا صعوبة من صعوبات الحياة كأن يوسوس لنا بعدم المشاركة في الجهاد بحجة اننا سنفقد حياتنا ، ونقع في الاسر ... فان هذا وهم في مقابل الوهم الذي في نفوسنا ، ولكي نقضي على هذا الوهم فان علينا ان نتصور الجنة ، والثواب الجزيل الذي اعده الله - تعالى - لمن يجاهد في سبيله .

الجهاد طريقنا الى الجنة :

ان الجهاد جسر يوصلنا الى الجنة ، فلماذا لا نعبر هذا الجسر ؟ ان الشيطان اذا جاءنا والقى في روعنا ان لا نصلي صلاة الليل بذريعة اننا سنتعب ، ونتأخر عن اعمالنا ، ولا ننشغل بتجارتنا وما الى ذلك من تبريرات واهية فان علينا من اجل ان ندفع هذه الوسوسة عن قلوبنا ان نتصور انفسنا ممددين في قبور مظلمة ، ممتلئة بالديدان ، وعندما نعيش مثل هذا التصور فاننا سنقتلع الوهم الذي زرعه الشيطان في نفوسنا ، وبالتالي فاننا سنستطيع ازالة العقبات التي تعترض طريقنا للوصول الى الدرجات العليا من الايمان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثامن

التكذيب بالحق بداية الانحراف

من ضمن التساؤلات الاساسية التي يطرحها القرآن الكريم التساؤل عن كيفية هلاك الامم السابقة ، وهو يقدم لنا الاجابات الشافية على هذا التساؤل المرة بعد الاخرى ، ففطرة الله – جل جلاله – قائمة على اساس نجاة الانسان ، وعلى اساس انه خلق ليكون اكرم مخلوق على وجه البسيطة ، فقد سخرت له الشمس والقمر والطبيعة من حوله ، وخلق في احسن تقويم .

النجاة في الفطرة :

وعلى هذا فان نجاة الانسان هي الحالة الفطرية التي تقتضيها سنن الله ، فلماذا – اذن – انحرف المنحرفون ، وما هو دور الشيطان ، والنفس الامارة وما هي الغرائز والشهوات التي تضل الانسان ، وتحرفه عن الصراط المستقيم ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الملفت للنظر عند التدبر في القرآن الكريم انه يحدثنا عن الامراض والعوامل التي تؤدي الى الانحراف لكي نتقيها ، ونحمي انفسنا من شرورها ، وعلى سبيل المثال فان بحث معرفة الشيطان هو بحث عميق وواسع ومتنوع في القرآن الكريم ، ومما يؤسف له هو اننا لم نتطرق الى هذا الموضوع الهام كثيرا رغم ان الشيطان هو عدونا المبين ، وهو الذي اقسم ان يغوي الانسان بكل طريقة ممكنة ، ومع ان هذا العدو يجري منا مجرى الدم في عروقنا ، ويأتينا من كل جانب ؛ من بين ايدينا ، ومن خلفنا ، وعن اليمين والشمال ، وبأساليب مختلفة الا ان هذه القضية الهامة لا تشكل موضوعا هاما في احاديثنا وبحوثنا ، فنحن لانلتفت الى هذا العدو الخطير الذي اضل اناسا كثيرين جدا .

ان علينا ان نبحث عن المصائب والويلات التي سببها الشيطان على هذه الارض ؛ فلماذا هلكت عاد ، ولماذا أبيدت ثمود ، ولماذا طغى فرعون وأغرق ، ولماذا خسف الله بقارون وداره الارض ؟ ... ان هذه البحوث القرآنية وغيرها هي الاهم ، لان الانسان عندما يبعد نفسه عن اسباب وعوامل المرض والخطر فانه سيستطيع الاستمرار في الحياة ، وفطرة الحياة تدعو الانسان الى الاستقامة . فلنبحث – على سبيل المثال – في الضلالة وجذورها ؛ فلماذا نرى الانسان وعلى الرغم من ان الله – تعالى – خلقه في أحسن تقويم ، واودع في ضميره الفطرة النقية ، ووهب له نور العقل ، وارسل اليه رسله تترى ، وآياته متتابعات ، وجعل العبر التي لاتحصى تحيط به ... لماذا نراه يتخذ سبيل الغواية ، وينحرف عن الطريق ؟

في اكثر من موضع ومقام يحدثنا القرآن الكريم عن الضلالة الاولى ، ونحن اذا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استطعنا ان نعي هذه الضلالة ، ونكتشف العامل الاخطر لها فاننا سنحصل على المفتاح الرئيسي للسعادة .

ان الضلالة الاولى تأتي من كون الناس على نوعين : نوع يستقبل الحق ويسلم له ، ويستوعبه ، ونوع يكفر ويكذب به ، والنوع الاول هو الذي يستقبل الحق بمجرد ان يقتنع ان من الافضل له ان يتقبل الحق ويؤمن به ، وهذا هو الايمان ؛ اي ان تكون عند الانسان حالة القناعة ، والخضوع للحق والاسلام له بمجرد التوصل اليه ، وحينئذ وبمجرد ان يصل الانسان الى هذه الدرجة تتضح امامه جميع الحقائق ، لان الحجاب سيسقط ، والعقل سيغمره النور لان الانسان المؤمن ينظر بنور الله - تعالى - .

ولكن هذا الانسان بمجرد ان يكذب بالحق فان كل تلك الايات والعلامات والمعالم الموضوعة على طريق الحق ستختفي عنه كما اشار الى ذلك - عز وجل - في قوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ (ق / ٥) ، فالانسان يبقى في حالة عمى ، وضلالة فلا هو مهتد ولا هو منحرف حتى يأتيه الحق عبر الرسول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (الاسراء / ١٥) .

التكذيب بالحق يخلط الحقائق :

والرسول يأتي بكل وضوح ومعه الادلة البينة ، فيقدم رسالته الى هذا الانسان ، وحينئذ يختلف الناس ؛ ففريق منهم يصدق به ، ويرى انه هو الصادق الأمين ، وهذا الفريق يهديه الله - سبحانه وتعالى - كما يشير الى ذلك في قوله : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف / ١٣) ، فيهتدي هذا الانسان دون ان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يواجه اية مشكلة .

اما الفريق الآخر فيبدأ السير المعاكس ، فيكذب بالحق ، وبمجرد ان يكذب به تختلط عليه الحقائق كلها ، فيستنتج سلسلة من الافكار الباطلة ، والتبريرات والاعذار الواهية ، وبالتالي يصنع وينسج حول نفسه شرنقة يعيش في داخلها ، وفي هذا المجال يقول – عز من قائل –: ﴿ **بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ** ﴾ (ق / ٥) ، اي مختلط .

واذا كان الرسول ليس حقا فما هو – اذن – ؟ ، لقد قالوا عنه انه شاعر ، ومجنون ، وكاهن ، فاختلط عليهم الامر ، وتبعثرت عندهم المقاييس فلم يعرفوا ماذا يقولون ، فما هو القرآن – اذن – ؟ هناك من المستشرقين الذين يحاولون تفسير الوحي من لا يمتلك رأيا واضحا ومحددا يفسر به ذلك التحول الذي حدث في الجزيرة العربية خلال فترة قصيرة .

ان كل واحد منهم يقدم تفسيرا مختلفا ، وتفاسيرهم وتحليلاتهم متناقضة بمجموعها ، فقد ترى المؤرخ الواحد يكتب في كتابين تفسيرين مختلفين لانهم – كما يقول القرآن الكريم – : ﴿ **فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ** ﴾ ، فهم لا يريدون ان يعترفوا بالحق . والباطل – كما هو معلوم – لا يمكن ان يثبت ، فموازين العقل ، والطبيعة ، والتأريخ ترفض الباطل ، لذلك نراهم يتنقلون من باطل الى اخر .

الطبيعة تدل على الله :

ولو ان هؤلاء لم يكونوا قد كذبوا بالحق لكانت الطبيعة المحيطة بهم كافية لاقناعهم بالمعاد والبعث كما يقول – عز وجل – : ﴿ **أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ**

﴿ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ (ق / ٦) فهذه السماء التي هي كالسقف المرفوع الذي يحفظ الارض من النيازك ، ومن الاشعة الضارة ، من الذي بناها ، ورفعها ، واتقن صنعها ؟

ان هذه الايات واضحة ليس فيها اي لبس ، والله - تعالى - يوجه انظار الناس اليها دائما وذلك في مثل قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ ، وهو - عز وجل - لم يبنها باتقان ورصانة فحسب بل زينها ايضا بالكواكب فاذا هي زينة في الليل ، وحلية في النهار ، فالشمس تبعث شعاعها الباهر ، والقمر يبث ذلك الشعاع الفضي الجميل، والنجوم انتشرت في الفضاء لتشكل لوحة سماوية بديعة بحيث لا تتعب الانسان عندما ينظر اليها .

ثم انك لا ترى في هذه السماء أية ثغرات ومنافذ : ﴿ مَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ وان ثقبا واحدا حدث في طبقة الاوزون بالغلاف الجوي اليوم جعل العالم يعيش في حيرة ، فاذا الثلوج تذوب ، ودرجة الحرارة تزداد ، واذا بالاشعة الكونية الضارة تتسرب ، وفي الحقيقة فان الانسان هو السبب في حدوث هذا الثقب .

ويستأنف - تعالى - قائلا : ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (ق / ٧) ، ومع ذلك فان كل هذه الحقائق تخفى على المكذبين ، فتعمى بصائرهم ، ويفقدون القدرة على الفهم والتقدير في حين ان هذه الحقائق كانت وما زالت ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ (ق / ٨) ، فالعبد المنيب القلب ، المستعد لتقبل الحقائق لا ينظر الى شيء الا ويهتدي من خلاله الى الحقائق الكبرى ، واسماء الله وسننه في الكون ، والحياة الاخرة التي في انتظارنا ، فيتضح كل شيء لهذا الانسان المؤمن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعلى هذا فان من اهم الاعمال التي يجب ان نقوم بها ان ننمي في انفسنا روح التقبل ، وننتزع منها حالة الكبر ، خصوصا وان هذه الحالة مغروسة في داخلنا ، وهي تعادل الجهل، وظلم الانسان لنفسه كما يقول - عز وجل - : ﴿ **إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً** ﴾ (الاحزاب / ٧٢) ، وهي تلتصق بأعماق طبيعة الانسان ، وانا لا اسميها (فطرة) ، لان طبيعة الانسان ظلمانية، وعاجزة ، ومحدودة ، وجاهلة وظالمة ، وهذه الطبيعة يجب ان تتبدل ، وقد كلف الله - سبحانه - الانسان بتغييرها ؛ فمن الناس من يحقق هذه المسؤولية في نفسه ، ومنهم من يرفضها .

ان طريق قبول الحق يمر بالكفر ، وطريق التصديق هو التكذيب ؛ فلو لم تكفر بالطاغوت لما كان بامكانك ان تؤمن بالله ، ولو لم تكذب بالضلالة لما كان بمقدورك ان تصدق بالهداية ، كما يقول - عز من قال - : ﴿ **فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى** ﴾ (البقرة / ٢٥٦) .

الكفر بالانداد ثمن الايمان :

ومن الحقائق التي يجب علينا ان نعرفها هي ان الانسان لا يكون مؤمنا الا بعد ان يكون مستعدا لدفع ثمن الايمان ، فالايمان يمثل اغلى قيمة ، وارفع درجة ، واثقل حسنة في ميزان الانسان ، فهو شرط قبول العمل الصالح كما يقول - تعالى - : ﴿ **وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ..** ﴾ (الاسراء / ١٩) فاذا كنت تريد الاخرة فان مجرد التمني لا يكفي : ﴿ **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ (النساء / ١٢٣) .

وبالاضافة الى ذلك فان مجرد السعي هو الاخر لا يكفي بل يجب ان تكون هناك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارادة وسعي وايمان ، وعلى هذا فان الايمان هو شرط قبول العمل ، ولابد ان ندفع ثمنه ، وثمنه هو الكفر بالانداد ؛ اي ان لا نجعل لله - سبحانه - ندا ، فعندما نقول (الله) فان هذه الكلمة تعني انه هو الاكبر ، والاسمى ، والاعلى ، له الحمد ، فلا نقرن هذه الكلمة بشيء اخر ، فعلى الانسان ان لا يجعل لربه ندا ، وان لا يساوي الشركاء به فان اكثر الناس انما يدخلون النار لانهم اتخذوا شركاء له - تعالى - .

والقرآن الكريم يبين لنا هذه الحقيقة في قوله - تعالى - : ﴿ **فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة / ٢٢) ، لان الله لا ند له ، وقديما قال نمرود : ﴿ **أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ** ﴾ (البقرة / ٢٥٨) ، ولكن ابراهيم (عليه السلام) قال له : ﴿ **فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ** ﴾ (البقرة / ٢٥٨) فكانت النتيجة : ﴿ **فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ** ﴾ (البقرة / ٢٥٨) ، لقد كان نمرود سلطانا ذا قدرة ، ولكنه اكتسب القدرة من الله ، لان قدرته ليست ذاتية لكي يحق له ان يجعل نفسه مع الله - تعالى - ، كما يشير الى ذلك في قوله : ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لِلّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة / ٢٢) ؛ أي هل الذي انت تعتقد به من دون الله قادر على ان يبني السماء ، ويفرش الارض ، وينزل من السماء ماء ، ويستخرج من الارض رزقا ؟

وفي آية اخرى يقول - عز وجل - :﴿ **وَجَعَلُوا لِلّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ** ﴾ (ابراهيم / ٣٠) فهم انما ضلوا عن سبيل الله لانهم جعلوا له اندادا ، ومن هذه الاية نفهم ان معنى (الند) هو الذي يتبع من دون الله - سبحانه وتعالى - ، لان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القرآن الكريم يبين هذه الحقيقة في قوله : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَآءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيءٍ ﴾ (ابراهيم / ٢١) ، فهم - اي الضعفاء - اتبعوا الانداد في الدنيا ، وعندما يحل يوم القيامة يقولون للذين اتبعوهم : اين جزاء اتباعنا لكم ، وهل تستطيعون ان تحملوا عنا اوزارنا ؟ فيقول المتبعون : ﴿ لَو هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ﴾ (ابراهيم / ٢١) ، فهم ايضا سيردون نار جهنم، وكيف يمكن ان ينقذ من في النار غيره ؟ : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَحِيصٍ ﴾ (ابراهيم /٢١) .

وبعد هذه الاية يقول - جل شأنه - : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ﴾ (ابراهيم / ٣٠) ، وقد وردت هذه الاية في سورة ابراهيم ، اما في سورة البقرة فقد جاءت بالشكل التالي : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ (البقرة / ١٦٥-١٦٦) .

محور حركة المؤمن :

ان الحديث يدور في الايات السابقة عن الانداد ايضا ، وذم اتباعهم ، فالله - تعالى - يحذر الانسان من اتباع احد سواه ؛ اي ان المؤمن يكون في داخل نفسه حالة ان محور حركته هو الايمان بالله لا شيء اخر ، وبالتالي فان كل شيء يعود في نظره الى رب العالمين ، اما الامور الاخرى فتأتي في الدرجة الثانية .

وفي آيات اخرى ايضا ، يشير - تعالى - الى الاتباع عند الحديث عن الند ، كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نرى في هذه الاية الكريمة من سورة الزمر : ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (الزمر / ٨) وفي الاية الثامنة من هذه السورة يقول - عز من قائل - : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُواْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴾ (الزمر / ٨) ، ثم يقول - عز وجل - عن الذين كفروا : ﴿ رَبَّنَآ أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلاَّنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا ﴾ (فصلت / ٢٩) .

فالحديث هنا - اذن يدور حول المتبعين اي ؛ الانداد ، ومن هنا ندرك اننا اذا اردنا ان نخلص الايمان فعلينا ان نكفر بالانداد ، وان نلغي من حياتنا كل تمحور ، وسلطة ، وهيمنة، وجاذبية ، ان لم تكن متصلة بالله - سبحانه وتعالى - ، في هذه الحالة يصفو الايمان ، ويكتمل التصديق ، وتتضح الحقائق . فالايمان هو حالة في النفس تدفع الانسان الى الرضوخ للحق ، ونحن لا نستطيع ان نحصل عليها الا من خلال رفض الباطل ، فاذا رفضناه فحينئذ سنذعن للحق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل التاسع

البشرى عقبى المؤمنين

اذا اردنا ان نعرف قيمة شيء ما فلابد ان ندرس نهايته وعاقبته . ونحن اذا اردنا ان نعرف قيمة الايمان ، او مدى خسارة الانسان الكافر ، فلابد من ان ندرس النهايات فعند دراستها نعرف حقيقة الاشياء .

ومن المعلوم ان عاقبة الايمان تتمثل في حياة مطمئنة يكللها الفلاح والسعادة ، والعاقبة الحسنى ، وفي يوم القيامة الحشر مع الانبياء والشهداء والصالحين ، وجنة عرضها كعرض السماوات والارض ، ورضوان من الله اكبر، وهذه هي فائدة الايمان للانسان .

اما الكفر فعاقبته قلق في النفس ، وحياة نكدة ، وضلال وعمى ، وعاقبة سوء ، وموت مؤلم ، وقبر ملؤه النار ، وحشر فيه الهول ، وفي يوم القيامة النار الملتهبة والخزي ، واللعن من الله – تعالى – .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقياس الحقيقي :

وعندما ننظر نظرة سطحية الى الناس من حولنا فاننا لا نستطيع ان نعرف قيمتهم الحقيقية من خلال ظواهرهم الا اذا استندنا الى مقياس حقيقي وهو ان نقيس الامر بمقياس اعمق وحينئذ سنكتشف ان هذا الانسان في الجنة وانه محبوب من قبل الله - عز وجل - ، وفي حين نرى الانسان الاخر يعيش في الجحيم منذ الان كما يقول - سبحانه - : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة / ٤٩) ، فقلبه مليء بالتوتر والقلق والحقد ، وفي المقابل نجد الانسان الاول ذا قلب مطمئن بالايمان كما يقول - تعالى - : ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد / ٢٨) وبين هذا الانسان وذاك بعد المشرقين .

وعن اولياء الله يقول القرآن الكريم : ﴿ أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس / ٦٢) .

وكلمة (الولي) تعني المحب النصير القريب ، وهناك معان عديدة وشتى لهذه الكلمات ، ولكننا عندما نتعمق فيها نرى انها منطلقة من (الولاية) التي تأتي من تقارب الناس الى بعضهم ، واولياء الله هم الذين يكونون عند الله - تبارك وتعالى - ، والذين هم تحت ولايته ، وفي حصنه وكهفه ، وهم الذين لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

وفي هذا المجال يروى ان ابن الاشعث جاء في ليلة من ليالي شهر رمضان الى الامام علي (عليه السلام) وطلب منه ان يتصالح مع معاوية ولكن الامام (عليه السلام) رفض ، وحينئذ حذر ابن الاشعث الامام من ان هناك مؤامرة لقتله فغضب (عليه السلام) وقال : " أبالموت تهددني ؟! والله ان ابا تراب آنس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالموت من الطفل الرضيع بثدي امه ، انا لا ابالي أوقعت على الموت ام وقع الموت عليَّ " ، وهذا هو النموذج الاسمى لاولياء الله ، والقلب المطمئن حقا ، فكل انسان مؤمن مستعد لاستقبال ملك الموت ، ولذلك نجد ان موتهم هو موت الرحمة . قيل للصادق (عليه السلام) : صف لنا الموت ، قال (عليه السلام) : " للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والالم كله عنه " [١] .

الفرحة الكبرى :

وهذه هي النفس المطمئنة التي لا يعتريها الخوف لانها تعرف مصيرها ، وتوقن انها ستدخل على رب كريم ، فالذين عرفوه ، وآمنوا به ، واطاعوه انما يفعلون ذلك في الدنيا والاخرة فينتقلون من دار ضيافة الى دار ضيافة اخرى التي هي دار الضيافة الحقيقية فالدنيا هي بمثابة السجن للمؤمنين ، وهم يتطلعون دوما الى الانتقال للاخرة ليرون الفرحة الكبرى ، فرحة الالتقاء با لله - تعالى- .

وهؤلاء المؤمنون لا يمكن ان يندموا او يحزنوا لان خطهم كان خطا مستقيما، فهم منذ اللحظة التي فتحوا فيها اعينهم على نور الدنيا قالوا :﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (الانعام/٧٩) فلماذا يحزنون وصلاتهم تأتيهم في صورة انسان جميل يبشرهم بالجنة ، ولماذا يندمون وقد كان صومهم جُنة من النار ، وانفاقهم في سبيل الله مضاعفا ؟

وفي الاية التالية لقوله - تعالى - : ﴿ **أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (يونس / ٦٢) يقول القرآن الكريم ذاكرا شرطين لاولياء الله : ﴿ **الَّذِينَ**

---

[١] موسوعة بحار الانوار ج ٩ ص ١٥٣

ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (يونس / ٦٣) ، والملاحظ اننا عندما ندرس الايات القرآنية نجد ان صفات المؤمنين تتشابه مع صفات المتقين ؛ ففي سورة البقرة يقول - عز من قائل - عن المتقين :﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَرَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (البقرة / ٢-٣) هذه الصفات هي نفسها الصفات المثبتة للمؤمنين في قوله - تعالى - : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون / ١-٢) .

وهنا يتبادر الى الاذهان السؤال التالي : هل هناك فرق بين الايمان والتقوى ام انهما يمثلان مفهوما واحدا ؟ وللاجابة على هذا السؤال نقول ان حقيقة الايمان ، وحقيقة التقوى تمثلان حقيقة واحدة ، ولكن المنظور في الايمان الجانب العقيدي ، وفي التقوى الجانب العملي ، فهما مفهومان متلازمان لا يمكن ان يوجد احدهما دون وجود الاخر .

بشرى للمؤمنين :

وعلى هذا فان القرآن الكريم يبين ان البشرى في الحياة الدنيا هي للذين آمنوا ، واستمروا على ايمانهم عبر مسيرة التقوى ، وهنا نتساءل : لماذا لم يقل القرآن : لهم النعم في الحياة الدنيا ، بل قال : " لهم البشرى " ، وما هو الفرق بين (النعمة) و (البشرى) ؟ وجوابا على ذلك نقول : ان الانسان لا يعرف - عادة - قيمة (النعمة) فهو لا يستفيد منها الاستفادة المثلى ، ولكن المؤمنين يعرفون قيمتها ، ولذلك استخدم القرآن الكريم مصطلح (البشرى) ؛ اي ان للمؤمنين المعرفة بالنعم ، ولذلك نقرأ في الدعاء : " اللهم اني اسألك العافية ، والشكر على

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العافية "، فالانسان الذي لا شكر له على العافية لا يمكن ان ينعم بها ، اما الانسان الذي يؤدي واجب الشكر على هذه النعمة فان العافية ستنعكس على روحه ، لان الروح هي التي تشكر ، والشكر هو عافية لها ، ولذلك يقول - عز وجل - : ﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (يونس / ٦٤) .

ان قلب الانسان المؤمن مفرغ من الاحقاد ، وهو ينعم براحة البال ، وطمأنينة النفس ، على عكس قلب الانسان البعيد عن الله ، والذي تراه في حالة اضطراب وقلق دائمين ، فالانسان المؤمن نراه ينهض من نومه في جوف الليل لينشغل بالعبادة ، ويدعو لاخوته المؤمنين ، ويطلب لهم الخير والصلاح قائلا : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر / ١٠) وقائلا : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً ﴾ (نوح / ٢٨) .

وهكذا فان الانسان المؤمن يعيش في هذه الدنيا حالة الانسجام والوئام ، فهو يضمر الحب للناس ، والطبيعة الى درجة انه لا يؤذي حتى الحيوانات ، فهو ليس انسانا عدوانيا بل ان قلبه مفعم بحب المجتمع ، وهذه هي البشرى التي يراها في الدنيا .

ومع ان الايمان عظيم ذو قيمة عليا ، وان له عشرة آثار رئيسية اشرنا اليها فيما مضى ، الا انه ليس من السهولة ان يدعيه الانسان ، فثمن الايمان عظيم وهو ان يسلم الانسان أمره الى الله - جلت قدرته - ، ويخضع له في جميع اموره ، واذا ما وصل الى هذه الحالة ، حالة التسليم المطلق لرب العالمين ، وان لا يرى شيئا اخر معه ، ولا يخلط بين الحق والباطل ، فحينئذ يمكننا ان نقول انه قد وصل الى حقيقة الايمان .

حقيقة الايمان :

فالانسان المؤمن هو الذي يخضع للخالق وحده ، اما اذا خضع للمادة ايضا فهو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مشـرك ، وحـال المشرك كحـال الكافـر ، فليس لـي ان اضع الشعب او الوطـن او المجتمـع او اي اعتبـار مـادي اخـر مع الله - تعالـى - ، واذا مـا وصلنـا الـى هـذه المرحلـة مـن الايمـان ، وجعلنـا كـل القيـم فـي حياتنـا تحت مظلـة الايمـان لامعهـا فاننـا سنكـون قـد آمنـا بالله حـق ايـمانـه ، ولا يكـون مثلنـا كمثـل (عمر بن سعد) الذي خذل الامام الحسين (عليه السلام) وحاربـه لانه كان يخشـى ان تسلب الحكومة الاموية امواله منه فأصبح مثـالا للنفـس المنحطـة الخاسئـة .

وهكذا فـان علـى الانسـان الـمؤمـن ان يكون حـذرا من الاختبـارات الـتي ينزلهـا الله - عز وجل - عليـه ، فليـس هنـاك مجـال للتسـويف في مسألـة الايـمان بـل ليحـاول كل واحـد منا ان يعقـد العـزم على ان يبقـى على اصالتـه اذا مـا خـيـر بيـن الايمـان وبيـن الدنيـا ، فلا مساومـة على الايـمان والعقيـدة ، فهمـا اعظم القيـم ، ولنستمر فـي الدفـاع عنهمـا لكـي تتجسـد فينـا حقيقـة الايمـان .

واذا مـا فعلنـا ذلـك فـان الله - سبحانـه - سـوف يمنحنـا القـوة ، فعندمـا نرفـض القيـم الماديـة ، سيؤيدنـا الخالـق ، ويثبتنـا ، وينصـرنا فـي الحيـاة الدنيـا ، ويـوم يقـوم الاشهـاد ، كمـا قـال - عـز وجـل - : ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِـي الْحَيَاةِ الدُّنْيَـا وَيَـوْمَ يَقُومُ الأَشْهَـادُ** ﴾ (غـافر / ٥١) ؛ اي ان الخالـق - سبحانه - ينصـر عباده في الحيـاة الدنيـا ، ولكـن الاجواء قـد تكـون مغبـرة فـي بعـض الاحيـان وقـد يسمـع الانسـان بعـض الكلمـات السلبيـة ، وقـد يوسـوس لـه الشيطـان ، فلابـد ان ينتبـه الى كـل ذلـك لكـي لا يسـقط في هـذا الاختبـار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثالث

سبيل الإيمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

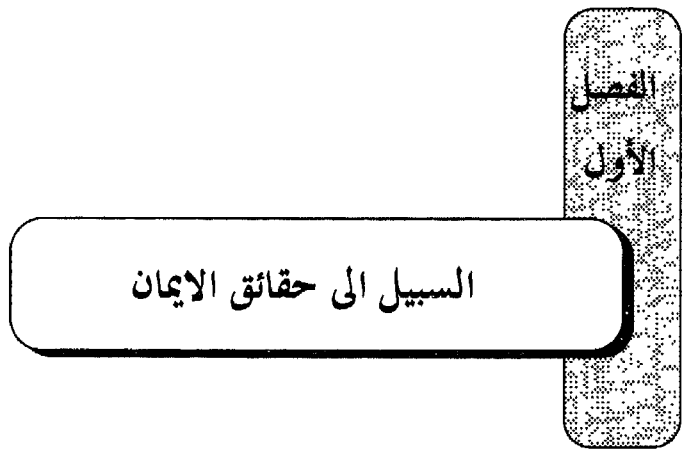

السبيل الى حقائق الايمان

كيف نستطيع ان نعرف الايمان بحقائقه ، وكيف يمكن ان نجد سبيلا الى هذه الحقيقة التي تعتبر ذروة القيم ، وسنام الفضائل الالهية ؟

لكي نتوصل الى الاجابة الصحيحة عن هذا السؤال لابد من بيان عدة حقائق :

١- ان الهدف من التعابير والكلمات التي ينطق بها الوحي ، او الاحاديث المأثورة ، انما هو الاشارة الى المعاني الواقعية لها ، ولذلك نجد ان الكلمات تتنوع ، والاشارات الى الحقائق تتغير في حين ان الحقيقة واحدة ؛ فالكلمات القرآنية قد تعبر عن حقيقة واحدة بأساليب شتى ، والذين يتخذون من الكلمات حقائق موضوعية لا جسرا الى الحقائق التي تعبر عنها تلك الكلمات ، هم الذين يضربون الالفاظ بعضها ببعض سواء جاءت في القرآن ، الكريم ام في الاحاديث الشريفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في حين ان اولئك الذين يتخذون من الكلمات جسورا يعبرون الى الحقائق من خلالها ، يكتشفون انها تتكامل ، وان هذه الالفاظ انما يدعم بعضها بعضا ، وتفسر احداها الاخرى ، وخصوصا الحقائق الكبرى كحقيقة التوحيد ، والرسالة ، والبعث والنشور ... هذه الحقائق الكبرى التي من الصعب على الانسان ان يبلغها ، ويتعرف عليها لضخامتها ، وانتشارها ، وتشعبها ، وبالتالي لتجلياتها العديدة في مختلف شؤون الحياة البشرية.

في مثل هذه الحقائق يجب ان لاتتخذ الكلمات كموضوعة نفكر في حروفها ، وفي ذات الالفاظ التي توجد ضمنها ، بل يجب ان نعتبر هذه الكلمات المختلفة كلها جسرا الى ذلك المعنى . وعلى سبيل المثال ؛ ماهو الايمان ، وكيف يبلغ الانسان ذروته ؟ ، انه ليس حقيقة بسيطة صغيرة وجانبية ، فهو يدخل في كل جزيئة من جزيئات حياة الانسان ، وفي كل مفردة من مفردات سلوك البشر ، ولذلك لايمكننا ان نعبر عن الايمان بكلمة ، بل يجب ان يكون التعبير عن الايمان ومحتواه والحقيقة التي يمثلها مختلفا متنوعا لكي يستقبل الانسان هذه الحقيقة من كل الجوانب والابعاد ، ويتعرف عليها من كل الزوايا .

٢ـ ان علينا عندما نستمع الى آية كريمة او حديث مأثور او نجد في الحياة آية من آيات الله – تعالى – ان نبذل جهدا كبيرا للارتفاع الى مستواها . فمن الصعب على الانسان ان يفهم الحقائق الكبرى الا من خلال تحول في ذاته ، اما اولئك الذين يريدون ان ينزلوا مستوى الحقيقة الى مستواهم فهم مخطئون عادة لان الحقيقة مرتفعة بذاتها ، وعلينا ان نرتفع اليها لا ان ننزلها الى مستوانا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الايمان مغادرة الذات :

بعد هاتين المقدمتين ندخل في صلب الموضوع ونتساءل مرة اخرى ؛ ماهو الايمان ؟ للجواب على هذا السؤال نقول ؛ الايمان هو ان يخرج الانسان من ذاته وهواه وشهواته ومصالحه الى رحاب الحق ؛ اي ان يسلم الانسان للحق طواعية ومن دون اكراه ، فالايمان ليس علما وليس عملا ، بل هو علم وعمل ، فعندما يلتقي العلم بالعمل ، وعندما تلتقي بصيرة الانسان بسلوكه ، في لحظة الالتقاء هذه يحدث ما نسميه بـ (الايمان) ، فالصلاة - مثلا - من دون قناعة لاتمثل الايمان ، والقناعة من دون الصلاة لاتصدر عن الايمان ايضا .

وعلى هذا فان لحظة التلاقي بين بصيرة الانسان ورؤيته وبين حركته وسلوكه ، هذه اللحظة هي التي نعبر عنها بـ (الايمان) ، فالايمان هو تسليم الانسان لله - عز وجل - ولكل الحقائق التي يأمرنا بها ، فالايمان لايمكن ان يتجزأ لانه - في الواقع - حالة التسليم والذوبان والانقياد لان الانسان لايملك نفسين ولا قلبين حتى يؤمن هذا القلب بشيء ، ويؤمن القلب الآخر بشيء آخر .

ولايضاح هذه الحقيقة نضرب المثال التالي : لنفرض ان هناك انسانا يبغّض الدين ، اي يأخذ منه ما يوافق مصالحه واهوائه وشهواته ، فهل هذا الانسان مؤمن حقا ام لا ؟ اننا لو تمعنا في سلوكه لوجدنا انه يؤمن بشيء واحد هو المصالح والشهوات ، اما الشيء الآخر - وهو الدين - فانما يؤمن به تبعا لتلك المصالح والشهوات ، فهو - اذن - يؤمن بنفسه كما يقول - تعالى - : ﴿ **أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ** ﴾ (الفرقان / ٤٣) ، فهو يعبد نفسه ، ومن الخطأ ان نقول ان هذا الانسان مؤمن بالله - عز وجل - ، لانه لايؤمن بالخالق الا اذا اقتضت مصالحه ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فهو يؤمن بمصالحه هذه في الحقيقة .

اللـه هو الحق :

ولذلك نجد القرآن الكريم يصـف اولئك الذين عبدوا مع الله اثنين ، فقـالوا انـه – تعالى – ثالث ثلاثة ، يصفهم بالكفر ، ذلك لانهم عندما ادعوا الايمان فـانهم لم يؤمنوا في الحقيقة برب السماوات والارض ، وبمن يملك الملكوت ، والقـاهر فـوق عباده ، والعزيز المقتدر ، بل آمنوا بشيء موهوم ليس هـو الله – سبحانه – ، لان الله هو الحق ، ويعبر القرآن الكريم عن ذلك قائلا : ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ** ﴾ (المائدة / ٧٣) .

وعندما يحدثنا القرآن الكريم عن المصلين الذيـن هـم في صلاتهـم سـاهون فانـه لايبارك لهم مطلقا بـل يقـول : ﴿ **فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ (الماعون / ٤-٥) ، اي ان كل ما هناك مـن حقـائق سيئة هـي لمثـل هـذا الرجل لانه ساه عن صلاته ، ومن هنـا نجـد ان القـرآن الكريـم عندمـا يحدثنـا عـن العبادة فانه يجعلهـا ملتصقـة بـالتوحيد ، لان العبـادة تعـني الخضـوع ، والتسـليم ، والذوبان ، وعندما تعني هـذه الكلمة هذه المعاني وأن يعطـي الانسـان قيـاده لله – سبحانه وتعالى – فلا يمكن ان يتجـزأ لانه اذا جزء نفسه في هذه الحالـة مطيعـا الله في بعض الامور ، وعاصيا له في امور اخرى فان عبادته ودينه ليسا مقبولين .

العبادة هي التسليم والخضوع :

وعلـى هذه فان العبادة هـي فـي حقيقتها الخضوع للواحد لان معناها التسليم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والخضوع ، ومعناها بالتالي قبول القيادة التي لايمكن ان تتجزأ ، ومن هنا نجد الآيات القرآنية عندما تحدثنا عن العبادة فانها تركز الحديث حول خلوص هذه العبادة لله – تعالى – . فعندما نتمعن في قراءة القرآن الكريم عن رسالة الانبياء نجد ان هذه الرسالات لم تكن من اجل اثبات وجود الله بل من اجل التذكرة به كقوله – تعالى – ﴿ **وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ** ﴾ (ابراهيم / ٥) .

وعلى هذا فان محور الصراع بين الانبياء والكفار والجهلة من قومهم لم يكن حول اثبات الله وانما حول اثبات وحدانيته بشكل عملي ، فالقرآن الكريم لايطلب مجرد الاعتقاد وحده بل يقول : ﴿ **أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ** ﴾ (هود / ٢٦) ، وهذه رسالة نبينا الاعظم (صلى الله عليه وآله) التي تكررت في كل الآيات القرآنية ، كقوله – عز وجل – : ﴿ **وَمَآ أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ (البينة / ٥) ، وقوله : ﴿ **أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾ (هود / ٢٦) ، وقوله : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لآ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (الانبياء / ٢٥) ، وهذه هي الرسالة الحقيقية للانبياء ، ولكن هذه الرسالة بحاجة الى بلورة – كما قلنا – لانها من الحقائق الكبرى ، وهذه الحقائق لاتفهم الا من خلال كل تجلياتها .

وعلى سبيل المثال فانك لن تستطيع ان تتعرف على الشمس من خلال كوة صغيرة في غرفتك دخل منها بصيص من اشعة الشمس ، ولكنك عندما تنطلق في رحاب الارض ، وتجد السهول والتلال والجبال والبحار كلها مضاءة بنور الشمس فحينئذ تختلف الحالة ، وكذلك الحال بالنسبة الى الحقائق الكبرى فمن الصعب على الانسان ان يفهمها من خلال آية من آياتها ، او اسم من اسمائها ، بل لابد ان